38- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ چ **[النساء:60- 62].**

وقَوْلِهِ: چ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ چ **[البقرة:11].**

وقَوْلِهِ: چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ **[الأعراف:56].**

وقَوْلِهِ: چ ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى چ **[المائدة:50].**

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عمرو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ»[1] قَالَ النَّوَوِيُّ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ «الحُجَّةِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ المُنَافِقِينَ ورَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ خُصُومَةٌ؛ فَقَالَ اليَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ ـ لأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ لا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ ـ وقَالَ المُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى اليهُودِ ـ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ – فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَأْتِيا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ، فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: چ ٱلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ چ الآية[2].

وقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ✕ ، وقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا القِصَّةَ. فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ ✕ : أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ[3].

---

[1] () أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (رقم 15) والخطيب البغدادي في تاريخه (4/369) وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في جامع العلوم والحكم:(2/394 ـ 395) تصحيح هذا الحديث بعيد جدًا من وجوه. وذكرها، ثم قال: وأما معنى الحديث فهو أن الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ✕ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به، ويكره ما نهى عنه. وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع. قال تعالى:

[2] () أخرجه ابن جرير الطبري (رقم 7816). وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (5/37): فروى إسحاق بن راهويه في تفسيره بإسناد صحيح عن الشعبي قال: ... وذكره. ثم قال: وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه، وروى الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس: أن حاكم اليهود يومئذ كان أبا برزة الأسلمي قبل أن يسلم ويصحب. وروى بإسناد آخر صحيح إلى مجاهد: أنه كعب بن الأشرف.

[3] () أخرجه البغوي في تفسيره (1/446). وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (5/38): وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً، لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد، وأفاد الواحدي بإسناد صحيح عن سعيد عن قتادة أن اسم الأنصاري المذكور: قيس. ورجح

الوقفة الأولى :

شرح مفردات الباب:

(يزعمون) : يدعون الإيمان بذلك وهم كاذبون .

(الطاغوت): كل ما تجاوز العبد به حده من متبوع أو معبود أو مطاع ، والمراد به هنا كعب الأشرف .

(يصدون عنك صدودا) : يعرضون عنك إعراضاً .

(لا تفسدوا في الأرض): يتضمن الفساد الحسي من هدم البيوت وغيرها ويتضمن الفساد المعنوي، وذلك بالمعاصي وهذا من أكبر الفساد .

(بعد إصلاحها): ببعث الأنبياء وشرع الأحكام وعمل الطاعات.

(الجاهلية) : نسبة إلى الجهل وكل ما خالف الإسلام فهو جاهلية .

(يبغون) : يطلبون .

(لا يؤمن أحدكم) : أي إيماناً كاملاً، إلا إذا كان لا يعمد الذب عن النبي بالكلية فإنه ينتفي عنه الإيمان بالكلية .

(هواه) : ما يهواه وتحبه نفسه .

الطبري في تفسيره وعزاه إلى أهل التأويل في تهذيبه: أن سبب نزولها هذه القصة ليتسق نظام الآيات كلها في سبب واحد، قال: ولم يعرض بينها ما يقتضي خلاف ذلك.

وورد أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهنًا، يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه، فتنافر إليه أناس من المسلمين، فأنزل الله تعالى: چ چ الآية. أخرجه الطبراني في الكبير (11/373 رقم 12045).وقال الهيثمي في المجمع (7/9): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (4/19): سنده جيد.

(الرشوة) : ما يعطى لمن يتولى شيئاً من أمور الناس ليحيف مع المعطي ومن ذلك ما يعطيه أحد الخصمين للقاضي ليحكم لـه .

الوقفة الثانية:

صدر المصنف - رحمه الله - هذا الباب بهذه الآية إشارة منه إلى التحذير من التحاكم لغير الله سبحانه وتعالى ، وصلته بالذي قبله أن الباب الذي قبله هو تحريم طاعة غير الله سبحانه، فلا يجوز طاعة غير الله في معصية الله سبحانه، فإذا تعارضت الطاعتان قدمت طاعة الله سبحانه، وهنا التحذير الشديد من التحاكم إلى غير الله سبحانه، وأن هذا التحاكم من صفات المنافقين، وقد ذكر المصنف في آخر الباب سبب نزول الآية من اختصام رجل من المنافقين ورجل من اليهود، فالمنافق يريد أن يتحاكم إلى اليهود واليهودي يريد أن يتحاكم إلى النبي ﷺ لأنه يعلم أن النبي ﷺ متصف بالعدل ولا يأخذ الرشوة ليغير حكم الله سبحانه أما المنافق يريد حكم اليهود لأنهم يمكنهم أن يلبسوا الحق بالباطل والباطل بالحق، فلذلك أنزل الله سبحانه، هذه الآية: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...**﴾ فهنا استفهام إنكاري، ينكر الله سبحانه على من يفعل هذا الفعل ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ**﴾ وسبق معنى الطاغوت ، والآمر هو الله سبحانه؛ لأن مصدر الأمر والنهي هو الله سبحانه وقد أمرنا سبحانه بالكفر بالطاغوت، فلا نعبد إلا الله ونكفر بما سواه .

وقال سبحانه: ﴿**وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً**﴾ والضلال هو البعد عن الحق وهو ضد الحق.

﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً**﴾ فيعرضون ولا يريدون حكم الله ولا حكم رسوله ويعرضون إعراضاً شديداً .

ثم قال سبحانه : ﴿**فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً**﴾ فالآية هنا تذم من عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواه وقد سماه الله هنا الطاغوت .

ثم ذكر المؤلف بعدها قولـه تعالى : ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ وقوله : ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا**﴾ وهذا توجيه من الله سبحانه بأن الإفساد في الأرض معصية من المعاصي التي يُعصَى الله بها، ومن عصى الله سبحانه بأي معصية فقد أفسد في الأرض ولم يقم بأي إصلاح؛ لأن الإصلاح لا يتم إلا بطاعة الله. وطاعة رسوله ﷺ، ويعني هذا أن التحاكم إلى غير الله أو الرضا بحكم غير الله من الإفساد في الأرض .

وأما قولـه تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ**﴾ فهذا استفهام إنكاري بمعنى أن لا حكم أحسن من حكم الله، وهذا فيه التحذير الصريح من حكم الجاهلية، وقد سبق معنى الجاهلية.

الوقفة الثالثة:

إذا علمنا أن التحاكم إلى غير الكتاب والسنة من أعظم الذنوب وهو من صفات المنافقين، فهل هو مخرج من الإسلام إلى الكفر؟

فيه تفصيل:

إن كان يعتقد أن حكم غير الله أفضل من حكم الله أو مساوٍ لحكم الله فهذا بلا شك كفر يخرج من الإسلام، أما إن كان لهوى في قلبه أو لغلبة شهوة أو خوف من عقاب مع اعتقاد قلبه أن حكم الله أفضل من حكم غيره فهذا على خطر عظيم، ولكن لا يخرج من الإسلام إلى الكفر .

الوقفة الرابعة:

نرى ضعف كثير من المسلمين وتساهلهم في تحكيم شرع الله ويظنون أن الأمر يسير، والأمر عظيم والعياذ بالله، فيتنبه لهذا الأمر الخطير ، وهو في المجتمعات المسلمة كثير كالذي يرضى بالسفور، ويرضى بالاختلاط بين الرجال والنساء، والذي يريد إشاعة المنكرات العامة ، والذي يريد أن يلبس على الناس الباطل ويظهره مظهر الحق، أو الذي يريد التحاكم إلى غير المحاكم الشرعية ونحو ذلك، هذا كله من صفات المنافقين ، وفيه تلبيس على الناس بإظهار الباطل مظهر الحق وقد ارتكب جرائم عدة فيتنبه لهذا الأمر الخطير، وقانا الله ومجتمعات المسلمين شر ذلك .

39- بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘﭼ [الرعد:30].

وفَي صَحِيح البُخَارِيِّ: قَال عَلِيٌّ: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورَسُولُهُ؟[4]

ورَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ ابنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ، اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤلاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، ويَهْلَكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ[5]؟ انتهى.

ولَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ (الرَّحْمَنَ)، أَنْكَرُوا ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﭽ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﭼ[6].

الوقفة الأولى :

شرح مفردات الباب:

(جحد) : الجحد الإنكار .

(الأسماء) : جمع اسم، والاسم مأخوذ من السمو والرفعة، وقيل: العلامة، والمراد بالأسماء هنا أسماء الله التي تسمى بها .

(الصفات) : المراد بها هنا صفات الله التي اتصف بها .

(وهم يكفرون بالرحمن): أي كفار قريش يجحدون هذا الاسم لا

---

[4] أخرجه البخاري (رقم 127).

[5] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (11/423 رقم 20895).

[6] فقد ثبت عن أنسٍ: أن قريشًا صالحوا النبي ﷺ فيهم سهيل بن عمرو. فقال النبي ﷺ لعليٍّ: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» قال سهيل: أما بسم الله، فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم. ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم.... أخرجه مسلم (رقم 1784).

المسمى، قال تعالى : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[7].

(توكلت) : فوضت أموري كلها واعتمدت عليه .

(إليه متاب): أي مرجعي وتوبتي.

(انتفض) : أي اهتز جسمه وارتعد .

(رقة) : ليناً وقبولاً .

(محكمة): أي محكم القرآن، وهو ما وضح معناه فلم يلتبس على أحد .

(متشابهة): أي متشابه القرآن، وهو ما اشتبه وخفي معناه فلا يعلمه كثير من الناس. وإنما يعلمه العلماء.

الوقفة الثانية:

في هذا الباب بيَّن المصنف - رحمه الله - حكم من جحد شيئاً من أسماء الله وصفاته وأنه يكفر بذلك ، ولما كان التوحيد ثلاثة أنواع ؛ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وكان الإيمان لا يحصل إلا بتحقيق هذه الثلاثة بيَّن حكم من جحد شيئاً من أسماء الله وصفاته .

والتفصيل في ذلك :

أن الجحد وهو الإنكار كما سبق نوعان:

الأول: إنكار تكذيب ، وهو أن ينكر اسماً من أسماء الله أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة؛ مثل أن يقول: إن الله غير سميع وإن الله غير بصير أو يقول: ليس لله يد أو أنه لم يستو على عرشه، فهذا كفر بإجماع المسلمين .

الثاني: إنكار تأويل: وهو أن لا ينكرها ولكن يتأولها إلى معنى يخالف ظاهرها، وهو نوعان:

أ - أن يكون للتأويل مسوغ في اللغة، فتكون للكلمة عدة معانٍ فيأخذ المعنى المرجوح، فهذا لا يوجب الكفر.

ب - أن لا يكون لـه مسوغ في اللغة فيأتي بمعنى من عنده قاصداً هذا المعنى فهذا مثل من جحد مكذباً ؛ لأنه في الحقيقة تكذيب، مثل أن يقول المراد بقوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [8] المراد بيديه : السماوات والأرض فهذا كافر؛ لأنه نفاها مطلقاً فهو مكذب .

---

[7] () سورة لقمان، الآية (25).

[8] () سورة المائدة ، الآية (64).

الوقفة الثالثة :

بعد أن تبين لنا معنى الجحد وأنواعه نبين **بعض القواعد والأمور المهمة في أسماء الله وصفاته** :

أولاً: أن أسماء الله أعلام وأوصاف وليست أعلاماً محضة، فهي من حيث دلالتها على ذات الله تعالى أعلام ومن حيث دلالتها على الصفة فهي تتضمن أوصافاً بخلاف أسماء الناس ، فالإنسان قد يسمي ابنه (صالح) ، دون أن يلحظ معنى الصفة ، قد يكون من أفسد الناس ، فاسم الشخص هنا علم ولا يشتق منه صفة ، بخلاف أسماء الله ؛ لأنها متضمنة للمعاني ، فالله هو العلي لعلو ذاته وصفاته، و(الرحيم) يدل على رحمته، و(العزيز) يدل على العزة وهكذا .

ثانياً: أسماء الله مترادفة من حيث دلالتها على ذات الله جل وعلا ومتباينة من حيث المعنى ، فالمترادف ما اختلف لفظه واتفق معناه .

فمترادفة لأنها تدل على مسمى واحد، فالرحمن الرحيم السميع البصير العليم هذه كلها تدل على الذات، ومتباينة باعتبار المعنى؛ لأن معنى (الرحيم) غير معنى (العليم) وغير معنى (الحكيم) وهكذا .

ثالثاً: صفات الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

1 - **صفات ذاتية** يعني ملازمة لذات الله عز وجل، وهي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها مثل السمع والبصر .

2 - **صفات فعلية** وهي التي تتعلق بفعله ومشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها؛ مثل النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش وغير ذلك .

3 - **صفات خبرية**، وهي أبعاض وأجزاء بالنسبة لنا، أما بالنسبة إلى الله فلا يقال هكذا بل يقال صفات خبرية ثبت بها الخبر من الكتاب والسنة، وهي ليست معنى ولا فعلاً مثل الوجه واليد والعين .

رابعاً : أن صفات الله سبحانه يوصف بها حقيقة مثل ما وصف الله به نفسه فهي على حقيقتها، فإذا وصف الله سبحانه بالسمع والبصر وبالعلم والقدرة واتصف بالنزول إلى السماء الدنيا وبالاستواء على العرش هذه صفات حقيقية ، لكن ننزه الله سبحانه عن التمثيل والتكييف، فلا نقول: كيف سمع الله؟ وهل هو مثل سمع المخلوقين ؟ وكيف بصر الله؟ وهل هو مثل بصر المخلوقين؟ لأننا لا ندرك الكيفية؛ لذلك قال الإمام مالك فيمن سأله عن الاستواء قال: الاستواء معلوم ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، يعني السؤال عن الكيفية، لذلك قال سبحانه :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [9] .

الوقفة الرابعة :

1 - يعتقد كثير من الناس أن أسماء الله سبحانه محصورة وأن لله تسعة وتسعين اسماً، والصحيح أن أسماء الله سبحانه ليست محصورة ولا محدودة بعدد معين .

والدليل على ذلك قولـه ﷺ في حديث ابن مسعود ﷺ : **(اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ... أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك)** [10] .

وما استأثر به في علم الغيب لا يمكن أن يعلم به، وما ليس بمعلوم ليس بمحصور.

وأما قولـه ﷺ : **(إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة)** [11] فليس معناه أنه ليس لـه إلا هذه الأسماء، لكن معناه أن من أحصى من أسمائه هذه التسعة والتسعين فإنه يدخل الجنة ، مثل من قال: عندي عشرة كتب أعددتها في الصلاة فليس معناه أنه ليس عنده إلا هذه العشرة، بل معناه أن هذه العشرة معدة لهذا لا غير .

2 - غفلة كثير من الناس عن التعبد والدعاء بأسماء الله وصفاته والاتجاه لغير الله سبحانه وتعالى ، فيقول للطبيب: يا طبيب اشفني، ويقول للساحر: يا ساحر أنت تعلم الغيب فارزقني، ولا يعلم أن الله هو الشافي وهو الرزاق وهو علام الغيوب، فهذا جحد عملي للتعبد بأسماء الله وصفاته ، فإذا عرف الإنسان أسماء الله وصفاته تعبد الله بها فيقول لله سبحانه: يا رحيم ارحمني ويا عليم علمني ويا رزاق ارزقني وهكذا .

*** *** ***

---

[9] () سورة الشورى ، الآية (11) .

[10] () رواه أحمد في مسنده عن ابن مسعود، برقم (3712)، وصححه ابن حبان.

[11] () رواه البخاري في كتاب: التوحيد، باب : إن لله مائة اسم إلا واحداً ، برقم (6957)، ورواه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله وفضل من أحصاها ، برقم (2677) .

40- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعالَى: " يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ **"الآية [النحل:83].**

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي. وقَالَ عَوْنُ بنُ عَبْدِ اللهِ: يَقُولُونَ: لَوْلاَ فُلانٌ لَمْ يكُنْ كَذَا. وقَالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا.

وَقَالَ أَبو العَبَّاسِ بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بنِ خَالِدٍ الذِي فِيهِ: «**أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ..**» الحَدِيثُ، وقَدْ تَقَدَّمَ. وهَذَا كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ والسُّنَّةِ، يَذُمُّ سَبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، ويُشْرِكُ بِهِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، والمَلاَّحُ حَاذِقًا، ونَحْوِ ذَلِكَ مِمَا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ.

الوقفة الأولى :

شرح مفردات الباب:

(يعرفون) : يدركون بحواسهم أن النعمة من عند الله .

(نعمت الله) : المقصود جميع نعم الله سبحانه فهي لا تحصى .

(ينكرونها) : أي ينكرون إضافتها إلى الله لأنهم يضيفونها للسبب متناسين المسبب الذي هو الله سبحانه .

(الكافرون) : الجاحدون أنها من عند الله سبحانه وتعالى .
(وقد تقدم) : يعني في باب الاستقاء بالأنواء .
(الملاح) : قائد السفينة .
(حاذقاً): عالماً بصنعته مجيداً للقيادة .

الوقفة الثانية:

ترجم المصنف بهذه الآية حضاً وترغيباً على التأدب مع جناب التوحيد، عن الألفاظ الشركية الخفية كنسبة النعم إلى غير الله ، ومناسبة ذكره في التوحيد أن من أضاف نعمة الخالق إلى غيره فقد جعل معه شريكاً في الربوبية، وهذا من وجهين:

الأول : لأنه أضافها إلى غير الله وهو السبب على أنه الفاعل.

الثاني: أنه لم يقم بالشكر الذي هو عبادة من العبادات، وترك الشكر منافٍ للتوحيد، لأن الواجب أن يشكر العبدُ الخالقَ المنعم سبحانه؛ فصارت لـه صلة بتوحيد الربوبية، من حيث إضافتها إلى غير الله وهو السبب على أنه الفاعل وله صلة بتوحيد الألوهية من حيث ترك القيام بالشكر الذي هو العبادة .

وأما قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ بين المصنف أن جحد نعمة الله من الكفر، **وقد قسم أهل العلم الكفر إلى كفرين : كفر أكبر**، وهذا يخرج من الملة وسموه أكبر، **الثاني: وهو الكفر الأصغر**، وهو الذي لا يخرج من الملة، ولا يعني أنه صغير بل هو من أكبر الذنوب والمعاصي، ولكنه صغير نسبة إلى ما هو أكبر منه المخرج من الملة.

فإن كان هذا الجحود للنعمة جحوداً كلياً بمعنى أن يقول إن هذه النعمة ليست من نعم الله إنما هي من فلان، أو هذه النعمة من جهدي وعملي ليس لله فيها شيء ولم يقدرها، فهذا كفر مخرج من الملة .

أما النوع الثاني وهو الكفر الأصغر وهو أن يعتقد أن المنعم هو الله سبحانه، ولكن ينسبه إلى غيره فيقول: هذا المطر نزل بسبب النجم الفلاني ولم ينسب إلى الله، فهذا كفر أصغر.

الوقفة الثالثة:

إن شكر الله سبحانه وتعالى هو الأصل العظيم والمقام الرفيع، **ولا يكون هذا الشكر إلا بثلاثة أمور**:

الأمر الأول: الشكر بالقلب بمعنى أن يعتقد أن هذه النعمة من الله سبحانه وقد قدَّرها الله لـه ، فلو جاءه مثلاً مال كثير ومكسب لم يكن يتوقعه فيجب عليه أن يشكر الله، وشكره بأن يعتقد أن هذا المال الذي حصل عليه جاءه من الله سبحانه، وإنما كان فلان وفلان سبباً، كما يكون الزواج بين

الرجل والمرأة سبباً لحصول الولد، فالولد نعمة سماه الله سبحانه نعمة ولو لم يحصل الزواج ما جاء الولد، لكن هذا الزواج سبب من الأسباب ، فيعتقد المسلم أن هذه النعمة من الله سبحانه، وكل ما يحصل عليه الإنسان في هذه الدنيا هو من نعم الله سبحانه وتعالى : ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾ [12] .

الأمر الثاني: الشكر باللسان ، فيلهج لسانه بشكر الله سبحانه كما أمر الله عز وجل: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [13] فيظهر الشكر لله سبحانه بالتحميد ونحوه، ومن ذلك ما ورد عن عبدالله بن مغفل أن النبي ﷺ قال: **(من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر، وقال ذلك حين يمسي فقد أدى شكر يومه وليلته)** [14] .

الأمر الثالث: الشكر بالجوارح وهو أن يعمل الإنسان بهذه النعم بطاعة الله سبحانه وتعالى ولا يستعملها فيما يكرهه الله ويبغضه ، فليس من الشكر بل من كفر نعمة الله أن يعطيه الله سبحانه وتعالى مالاً وينفقه في الحرام، فهذا بالإضافة إلى أنه معصية من المعاصي فهو أيضاً كفر بنعمة الله.

فالمسلم مأمور أن يستعمل هذه النعم في طاعة الله سبحانه، لذلك قال ابن القيم: "الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه لـه، واعترافه بنعمه، وثناؤه عليه، وألا يستعملها فيما يكره" .

الوقفة الرابعة :

يجب على المسلم أن يبذل كل الطرق لكي لا يقع في كفران هذه النعم ، وأن يسير إلى الله سبحانه معترفاً بنعمه شاكراً لـه بها، **ومما يعين على ذلك أمور:**

أولاً: معرفة الموقف من نعم الله سبحانه ، وهو ما أشرنا إليه قبل قليل بإسنادها إلى الله سبحانه وتعالى، وألا يتعامل معها بغير طاعة الله سبحانه .

ثانياً: أن يلهج لسانه بدعاء الله سبحانه بأن يعينه على الشكر، ولذلك قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : **(يا معاذ إني أحبك فلا تدعن دبر كل**

---

[12] () **سورة النحل، الآية (18) .**

[13] () **سورة الضحى، الآية (11).**

[14] () **رواه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح ، برقم (5073)، وصححه ابن حبان برقم (861).**

صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) [15] . فلابد من دعاء الله سبحانه لأن الشكر درجة ومرتبة عالية لا يصلها إلا القليل، لذلك قال سبحانه : ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [16] .

ثالثاً: أن يعرف مصارف هذه النعم ، وكيف يصرفها ومقتضيات هذا الشكر، فمثلاً: نعمة الولد، فالله سبحانه أعطاك ولداً ولم يعط هذا مثله ، فإن شكرت الله سبحانه كان نعمة عظيمة لك وامتداداً صالحاً لك، وإن كفرت بهذه النعمة كان وبالاً عليك ونقمة، ويكون ذلك بأن تربيه تربية حسنة صالحة على الاعتقاد السليم ، والخلق القويم، وإذا تربى على ذلك أعانك على شكر الله سبحانه، فينفعك هذا الولد في الدنيا والآخرة، ومثال آخر: نعمة الجوارح فنعمة العين مثلاً هذه نعمة عظيمة فلا تطلق فيما حرمه الله سبحانه وهكذا ...

رابعاً: القراءة في سيرة رسول الله ✕ الذي كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه من طول القيام ، فتقول لـه عائشة رضي الله عنها: ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول رسول الله ✕ : **(أفلا أكون عبداً شكوراً)** [17] فجعل العمل لطاعة الله شكراً لله تعالى، فإذا قرأ الإنسان سيرة النبي شكراً لله تعالى وسيرة أصحابه وسير أهل العلم وعرف كيف تعاملوا مع هذه النعم فهذا يعينه بإذنه سبحانه على شكر الله جل وعلا .

خامساً : أن ينظر في أمور الدنيا إلى من هو أسفل، فقد قال النبي ✕: **(انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم)**[18]. كما أنه في أمور الطاعات ينظر إلى من هو أعلا منه لكي ينافسه في الخير ويحثه عليه فيعينه ذلك على شكر الله تعالى.

---

[15] () رواه أبو داود في كتاب: سجود القرآن، باب في الاستغفار ، برقم (1522)، ورواه النسائي في كتاب صفة الصلاة ، باب نوع آخر من الدعاء، برقم (1303) ، وصححه الألباني في الترغيب ، برقم (1596).

[16] () سورة سبأ ، الآية (13).

[17] () رواه البخاري في كتاب : التفسير ، باب سورة الفتح ، برقم (4557)، ورواه مسلم في كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم، باب : إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، برقم (2819).

[18] () رواه مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، برقم (2963).

41- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: "فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ " [البقرة:22].

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ: «**الأَنْدَادُ: هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ؛ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: واللهِ، وحَياتِكَ يَا فُلانُ وحَيَاتِي، وتَقُولَ: لَوْلاَ كُلَيْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، ولَوْلاَ البَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَى اللُّصُوصُ، وقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وشِئْتَ، وقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلاَ اللهُ وفُلانٌ. لا تَجْعَلْ فِيهَا فُلاَنَاً، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ**»[19] رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وعَنِ عُمَرَ بنِ الخِطَّابِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»[20] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وحَسَّنَهُ، وصَحَّحَهُ الحَاكِمُ.

وقَالَ ابنُ مَسْعُودٍ: «لأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبَاً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»[21].

وعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «لا تَقُولُوا: ما شَاءَ اللهُ وشَاءَ فُلانٌ، ولَكِنْ قُولُوا: ما شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ»[22] رَوَاهُ أَبو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

---

[19] () **أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (رقم 229).وقال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد ص587: وسنده جيد.**

[20] () **أخرجه الترمذي (رقم 1535) وأحمد (2/69, 87، 125) والحاكم (1/18، 52) (4/297). قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا بمثل هذا الإسناد، وخرجاه في الكتاب وليس له علة ولم يخرجاه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 6204).**

[21] () **أخرجه الطبراني في الكبير (9/205 رقم 8902). وقال الهيثمي في المجمع (4/180): رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. قال الألباني في السلسلة الضعيفة (1/130): كذلك رواه الطبراني في الكبير (3/17/2) بسند صحيح، ورجاله رجال الصحيح كما في المجمع (4/177).**

[22] () **أخرجه أبو داود (رقم 4980) وأحمد (5/384). والبيهقي في السنن الكبرى (3/216). قال الألباني في السلسلة الصحيحة (1/264 رقم 137): وهذا سند صحيح، رجاله كلهم**

وجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ : «أَنَّهُ يُكْرَهُ: أَعُوذُ بِاللهِ وبِكَ، ويَجُوزُ أَن يَقُولَ: بِاللهِ ثُمَّ بِكَ». قَالَ: «ويَقُولُ: لَوْلا اللهُ ثُمَّ فُلانٌ، ولا تَقُولُوا: لَوْلا اللهُ وفُلانٌ».

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(أنداد) : الأنداد جمع ند ، والند لله سبحانه هو المثيل والشبيه والنظير .

(صفاة) : الصفاة هي الصخرة الملساء .

الوقفة الثانية:

أورد المصنف هذا الباب قاصداً به التحذير من الشرك ، وقد أورد في الأبواب المتقدمة شيئاً من ذلك ، ولكنه هنا أراد التحذير من نوع من الشرك يختلف عما أورده سابقاً، **فقد مر بنا أن الشرك نوعان**:

النوع الأول: الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام ، وصاحبه مخلد في نار جهنم والعياذ بالله، وفي الدنيا تطلق زوجته المسلمة ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يرث ولا يورث بينه وبين المسلمين ، وهذا النوع سبق الكلام عليه .

النوع الثاني: وهو الشرك الأصغر أو الشرك الخفي وهو الذي ركز عليه المصنف في هذا الباب، وهو في الحقيقة ليس صغيراً بل إن صاحبه على خطر عظيم، وإنما سمي بذلك بالنسبة إلى ما هو أكبر منه وهو الشرك الأكبر ، ولذلك جعلوا ضابط الشرك الأصغر هو ما كان وسيلة وطريقاً للشرك الأكبر، وهذا الباب فيما يتعلق بالشرك الأصغر في الأقوال، وقد أورد المصنف جملة منها للحذر من الوقوع فيها ، وليس لهذا النوع كفارة إلا التوبة وأن يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وهو على كل شيء قدير، كما ورد في الحديث .

الوقفة الثالثة:

أورد المصنف تفسير ابن عباس لقوله تعالى : ﴿**فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً**﴾ وأنه الشرك الأصغر، ويسمى الشرك الخفي إذ قد يجري على الألسنة من حيث لا يشعر الإنسان ، فهو كما شبهه ﷺ بالنملة السوداء التي تدب على صخرة سوداء في ليلة ظلماء من شدة خفائه ودقته، ومثل لهذا

ثقات رجال الشيخين، غير عبد الله بن يسار وهو الجهني الكوفي، وهو ثقة، وثقه النسائي وابن حبان وقال الذهبي في مختصر البيهقي (1/140/2): وإسناده صالح.

الشرك الخفي بعدة أمثلة تجري في حياة الناس من ذلك:

القسم بغير الله تعالى بقوله : وحياتك وحياتي، وحياة فلان، مثل قول بعضهم والنبي ✕ .

وقد يقول الشخص : والله وحياتك، وهذا قد وقع في خطأين: الأول الحلف بغير الله، والثاني : التسوية بين الخالق والمخلوق وهذا منكر عظيم، ولو اعتقده فقد أشرك بالله شركاً أكبر .

وقد يكون الإنسان صاحب تجارة كبيرة فيطلب منه أحدهم مالاً ، فيرد التاجر بأني لا أستطيع ولا أقدر، فيقول السائل: ما شاء الله وشئت يا فلان ، أي إذا شاء الله وشئت أنت حصل كذا ، فكأنه ساوى الله سبحانه وتعالى مع الرجل وهو لا يقصده ، ولكنها زلة لسان ، ومثله قول بعضهم: لولا فلان ما حصل كذا .

وفي هذه الألفاظ اعتماد على غير الله ، والله سبحانه هو مسبب الأسباب ، والواجب ألا يُعطف على لفظ الجلالة بالواو الدالة على المساواة، بل يقال: لولا الله ثم فلان، أو ما شاء الله ثم شئت ، لولا الله أمدنا بفلان أو سهل لنا فلان لحدث كذا . فهذه عبارات صحيحة لأنه أسند الأمر إلى الله عز وجل في الأصل، وجاء بـ(ثم) الدالة على الترتيب والتراخي، وأنها أقل مرتبة من المعطوف عليه ، وهذا ما دل عليه حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً، والذي أورده المصنف في نهاية هذا الباب.

الوقفة الرابعة :

(الحلف) : هو تأكيد الشيء بذكر معظم بصيغة مخصوصة، وحروف القسم ثلاثة : الباء، والتاء، والواو ، فتقول: والله ، وبالله، وتالله .

والحلف بغير الله نوعان :

النوع الأول: حلف صريح بالأصنام والأوثان وغيرها مما لم يعظمه الشارع ، مثل أن يحلف باللات والعُزى ، فهذا لا خلاف بين العلماء في كونه شركاً أكبر.

النوع الثاني: الحلف بأشياء عظيمة في الشرع مثل: أن يحلف شخص بالنبي ✕ فيقول: والنبي ، أو بالكعبة أو يحلف بالأمانة فيقول: وأمانتك، فهذه بلا شك معظمة في الشريعة، ولكن الحلف بها شرك أصغر وهي أخف من النوع الأول، مما ينبغي التنبيه لـه أن من العلماء من جعل ما يجري على لسان المتكلم من غير إرادة الحلف من لغو اليمين الذي لا يقصد عقده المتكلم، حتى وإن كان الحلف بغير الله كقول بعضهم : بلى والنبي ، وجعل هذا الفعل مكروهاً وليس محرماً ، ولكن الصحيح أنه لا يجوز كما قال به جماهير أهل العلم، ويدل على ذلك النص الصريح الذي

أورده المصنف وهو قولـه ﷺ : **(من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)** وأيضاً ما الداعي لأن يحلف الإنسان بمخلوق ويترك الحلف بالخالق سبحانه وتعالى، وجاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **(من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)** [23] والذي اتفق عليه العلماء جميعاً أن من حلف بغير الله معظماً لهذا المخلوق كتعظيم الرب جل شأنه فقد أشرك شركاً أكبر مخرج من الملة.

ولكن بعض العامة عند إرشاده بتحريم الحلف بالنبي أو بحياته أو بالأمانة يقول : لقد تعودنا على هذا أو لا نقصد ، وهي في الحقيقة شرك أصغر غير مخرج من الملة ، وهو كما أخبر ابن عباس كدبيب النملة السوداء في ليلة ظلماء على صخرة سوداء من دقته وخفائه ، والواجب الاعتياد على تركه كما اعتاد على فعله ، إذ أن الاعتياد على الحلف بغير الله قد يوقع في الشرك الأكبر إذا وصل إلى مرحلة تعظيم المحلوف به بالقدر الزائد عن مثله .

ولا يقل قائل: إن الله سبحانه وتعالى قد حلف بشيء من مخلوقاته كقوله تعالى : ﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا** ﴾ [24] وقوله : ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى** ﴾ [25] وقوله : ﴿**وَالْعَصْرِ** ﴾ [26] فالله تبارك وتعالى لـه أن يحلف بما شاء من مخلوقاته ، ولكن ليس للمخلوق أن يحلف إلا بالله عز وجل.

الوقفة الخامسة :

أورد المصنف قول ابن مسعود ﷺ : (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً) وابن مسعود من فقهاء الصحابة وأجلائهم ومن السابقين للإسلام، وهو لا يريد ﷺ أن يهوّن من شأن الحلف بالله كاذباً حاشا وكلا ، ولكن من المعلوم أن الحلف بالله كاذباً أمر محرم وكبيرة من كبائر الذنوب ويدل عليه حديث عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: **(الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس)**[27] وهي التي تغمس صاحبها في النار، وأما الحلف بغير الله وإن كان صادقاً فهو شرك بالله والشرك بالله حتى الأصغر منه أعظم جرماً من الكبيرة ، بدليل أن العلماء اتفقوا أن الكبائر التي يقترفها الإنسان على نفسه هي تحت المشيئة إن شاء غفر الله لـه برحمته سبحانه، وإن شاء عذبه

---

[23] رواه البخاري في كتاب : الشهادات ، باب : كيف يستحلف، برقم (2533)، ورواه مسلم في كتاب : الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله ، برقم (1646) .

[24] سورة الشمس ، الآية (1).

[25] سورة الليل، الآية (1).

[26] سورة العصر، الآية (1).

[27] رواه البخاري في كتاب : الأيمان والنذور ، باب : اليمين الغموس ، برقم (6182) .

بعدله سبحانه، أما الشرك الأصغر فقد اختلف العلماء في مغفرة الله لمن مات ولم يتب من هذا النوع من الشرك على قولين؛ والصحيح أنه كغيره من الذنوب تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر لـه برحمته وإن شاء عذبه وقدر معصيته .

الوقفة السادسة :

قال النبي ﷺ : (**الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل ، ألا أخبركم بقول يذهب صغاره وكباره؟ أن تقول : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا علم ، وأستغفرك لما لا أعلم**) [28] هذا الحديث وقاية بإذن الله من الوقوع في الشرك الأصغر ، وينبغي على المسلم المحافظة عليه، ولا سيما وإن أحس من نفسه شيئاً من ذلك ، ودعاء المسلم لربه من أعظم الوسائل الجالبة لصفاء العقيدة من شائبة الشرك .

والمسلم إذا عظم الله في نفسه وعلم بقدرته سبحانه وأنه أكبر وأعظم من هذه المخلوقات هان عليه أمر الدنيا وما فيهما، وقوي تعلقه بالرب سبحانه وتعالى، فدفع عن قلبه الشرك ووقي منه ، ومن تعلق بالله فقد كفاه سبحانه .

وعلى المسلم أن يعتاد على حفظ منطقه من اليمين، كما قال سبحانه : ﴿**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**﴾ [29] هذا في اليمين الصادقة الجائزة ، فكيف باليمين التي بها شرك بالله وتعظيم لغيره ، والواجب المحافظة على اليمين، وإنا لنرى بعض الناس يكثر من اليمين حتى إنه ليحلف لأجل إكرام ضيفه أو دخوله منزله فيقول: والله لتدخلن لبيتي لتشرب القهوة، وقد يتجرأ بعضهم إلى أن يطلق زوجته ويحلف على طلاقها إن لم يدخل ضيفه، وهذا من الجهل والخطأ .

42- بَابُ ما جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَحْلِفُوا بآبَائِكُمْ، مَنْ حُلِفَ له بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، ومَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، ومَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»[30]، رَوَاهُ ابنُ مَاجَه بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

---

[28] () تقدم تخريجه في الباب (45).

[29] () سورة المائدة ، الآية (89).

[30] () أخرجه ابن ماجه (رقم 2101). وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 7247).

الوقفة الأولى :

لما تحدث المؤلف ـ رحمه الله ـ في الباب السابق عن الحلف بغير الله وأنه شرك بالله كان من المناسب أن يردف هذا الباب بباب آخر يعتبر مكملاً للباب السابق، وهو هذا الباب (باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله) ، وكأن المصنف أراد أن يقول: إن الحلف لا يجوز إلا بالله عز وجل أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته، ولا يُحلف بالآباء ومن باب أولى ألا يحلف بالأصنام والأوثان وغيرها؛ فيقول المصنف: من حُلِف لـه بالله فليقبل هذا الحلف، لأن الاقتناع بالحلف بالله هو من تعظيم الله سبحانه وتعالى، ولا شك بأن لـه أثراً عظيماً على عقيدة المسلم وارتباطه بربه .

وبناءً على ذلك فمن لم يقنع بالحلف بالله فلا يخلو حينئذ من كونه غير مقتنع بالله سبحانه وتعالى، وهذا الشخص على خطر عظيم إن لم يدرك نفسه ، وإما أن يكون هذا الشخص غير مصدق لهذا الحالف فهو هنا يتهم الحالف باستهانته بالله وكذبه في اليمين .

الوقفة الثانية :

أورد المصنف حديث عبيدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله

ﷺ قال: (**لا تحلفوا بآبائكم، من حُلِف له بالله فليصدق ومن حلف لـه بالله فليرض، ومن لم يرضَ فليس من الله) وفي هذا الحديث عدة أمور** :

الأمر الأول: النهي عن الحلف بالآباء الذي كان منتشراً في الجاهلية ، وقد ذكر في الباب السابق شيئاً من التفصيل في ذلك، وأنه ينقسم إلى قسمين [31].

والذي ينبغي للمسلم في هذا المقام ألا يعوّد نفسه على كثرة الحلف بالله ومن باب أولى ألا يحلف بغير الله، والله سبحانه وتعالى أمرنا بحفظ الأيمان.

الأمر الثاني: أن من تعظيم الله سبحانه أنه إذا حلف شخص بالله أن يصدق ، والكذب إذا كان في الأمور العادية محرم وهو أشد تحريماً إذا كان معه حلف بالله ، فلذلك ذكر النبي ﷺ من الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المنفق سلعته بالحلف الكاذب ، وذكر ﷺ اليمين الغموس وهي من الحلف بالله على أمر ماض وهو متعمد يعلم الكذب فيه فهذه الحلف يغمس صاحبه في الإثم والعياذ بالله، وذلك لأجل استهانته بالحلف بالله كاذباً.

الوقفة الثالثة:

أخرج مسلم عن طلحة بن عبيد الله ﷺ أن رجلاً جاء لرسول الله ﷺ يسأله عن الإسلام، فقال لـه ﷺ : (**خمس صلوات في اليوم والليلة**، فقال : هل علي غيرهن؟ قال: لا إلا أن تطوع، وصيام شهر رمضان، فقال: هل علي غيره؟ قال: **لا إلا أن تطوع وذكر لـه ﷺ الزكاة وأخبره بأن ليس عليه غيرها إلا أن يطوع** ، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال رسول الله ﷺ : **أفلح وأبيه إن صدق**)[32] .

هذا الحديث يشكل على البعض هل لفظ (أفلح وأبيه) حلف بغير الله، والجواب على هذا الإشكال من عدة وجوه:

الأول: أن هذه كلمة جرت بها عادة العرب في كلامهم وهم لا يقصدون حقيقة الحلف .

الثاني: يحتمل أن يكون هذا الحديث قبل النهي عن الحلف بالآباء ، فيكون منسوخاً بحديث الباب .

الثالث: ذكر بعض أهل العلم أنه يحتمل أن يكون هناك تصحيفاً من أحد الرواة، والأصل : (**أفلح والله إن صدق**)، وكانوا قديماً لا يضعون النقط على الأحرف، فحدث تشابه بين كلمة (أبيه) ولفظ الجلالة (الله) إذا حذف

---

[31] ينظر: الوقفة الرابعة من الباب السابق .

[32] رواه مسلم في كتاب: الصلوات ، باب: بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ، برقم (11).

النقط السفلى من (أبيه).

وهناك أوجه أخرى ذكرها العلماء للجمع بين هذا الحديث وحديث الباب ولكن هذه أبرزها [33] .

الوقفة الرابعة :

الأصل في تعامل المسلم مع عامة الناس سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين أن يتعامل معهم بالصدق والأمانة بعيداً عن الغش والخداع ، والآيات والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصى ويكفي في ذلك ما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ✕ أنه قال: (**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**) [34] .

فعلى المسلم أن يلتزم بالصدق في سائر أحواله وإن كان إقراراً على نفسه بحق أو مال وهذا هو الأصل، ولكن قد يلجأ الناس في تعاملهم وخصوماتهم إلى الحلف بالله لإزالة قرينة من القرائن أو شبهة ألقاها الشيطان، فيحتاج الشخص الآخر أن يؤكد ما ذكره أخوه بهذا الحلف ، فإذا حلف فعليه أن يصدقه .

وإذا اختلت هذه الموازين اختلت تعاملات الناس فيما بينهم ، وهنا الواجب علينا أن نرجع إلى توجيهات الله سبحانه وتعالى وتوجيهات رسوله ﷺ ، وبذلك نزيل كثيراً من الإشكالات التي تجري في تعاملات الناس اليوم .

---

[33] () **ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (1/140)، القول المفيد (2/215).**

[34] () **رواه مسلم في كتاب: الأدب، باب: قولـه تعالى:** (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) **برقم (5743).**

43- بابُ قَوْلِ: ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ

عَنْ قُتَيْلَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ✕ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولونَ: ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ، وتَقُولونَ: والكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ✕ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «ورَبِّ الكَعْبَةِ، وأَنْ يَقُولوا: ما شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»[35] رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وصَحَّحَهُ.

ولَهُ أَيْضَاً عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ✕ : ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا ! بَلْ ما شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[36].

ولابْنِ مَاجَه عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا قَالَ: «رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ. قَالُوا: وَإنكم لأَنْتُمُ القَوْمُ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: ما شَاءَ اللهُ وشَاءَ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَولا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: المَسِيحُ ابنُ اللهِ، قَالُوا: وَإنكمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: ما شَاءَ اللهُ وشَاءَ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ✕ فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدَاً؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا، أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا. فَلاَ تَقُولُوا: ما شَاءَ اللهُ وشَاءَ مُحَمَّدٌ، ولَكِنْ قُولُوا: ما شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[37].

الوقفة الأولى :

هذا الباب لـه علاقة بالأبواب السابقة ، وهي مساواة الخالق سبحانه وتعالى بغيره من الناس والمخلوقات، وهنا المؤلف لم يقل: باب من الشرك قول ما شاء الله وشئت، فلماذا؟

---

[35] () أخرجه النسائي برقم (3771) والبيهقي (3/216) والحاكم (4/297) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (136).

[36] () أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (988) ورقم (139). والبخاري في الأدب المفرد برقم (783) وأحمد (1/214، 244، 283، 347) وابن ماجه برقم (2117) والبيهقي (3/217) وأبو نعيم في الحلية (4/99) والخطيب في تاريخه (8/105). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (139).

[37] () أخرجه ابن ماجه (رقم 2118) والدارمي برقم (2702) وأحمد (5/72، 398) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (138).

والجواب: لأن الحكم فيها يختلف ، فقد تكون شركاً أكبر إن اعتقد أن المعطوف هو مساوٍ لله سبحانه وتعالى.

وإن اعتقد أن المعطوف ليس بمساوٍ لله سبحانه ، وإنما كان هذا الشخص سبباً من الأسباب فهذا شرك أصغر، ووسيلة للشرك الأكبر، إذ أن هذا المتكلم سوّى بين مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق ، بحرف الواو التي تقتضي المساواة والاشتراك ، فلما لم يعتقد هذه المساواة لم تكن اللفظة شركاً أكبر بل صارت أقل وهي شرك أصغر في القول على أن ظاهر كلمة : (ما شاء الله وشئت) تعني مشيئتك ومشيئة الله سبحانه على حدّ سواء .

الوقفة الثانية:

حديث قتيبة الذي أورده المصنف يعطينا إشارة إلى أن بعض اليهود لديهم شيء من العلم، ويعرفون الشرك بالله وما هو مخرج من الملة، ولكن من عادتهم التشويش على المسلمين وإلقاء الشُبه عليهم، وذلك حسد من عند أنفسهم ، اليهود أنفسهم أشركوا بالله، فكذبوا فقالوا: عزير ابن الله، وعزير رجل صالح ادّعو أنه ابن لله سبحانه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . والنبي ✕ لم ينكر الذي قاله اليهودي وهو أن بعض المسلمين يشركون بالحلف بغير الله فيطوفون بالكعبة ، ويشركون بالمشيئة فيقولون: ما شاء الله وشئت ، وفي هذا درس للمحاورين، وهو أن يعترف الشخص بالحقيقة وإن كانت مرة، ولا تأخذه العزة بالإثم فينفخ فيه الشيطان ، فيحتقره الناس ولا يقبلون منه. ثم إن النبي ✕ أرشد من وقع بهذا الخطأ أن يقول بدلاً منه : ورب الكعبة أو ما شاء الله ثم شئت ، وهذا الترتيب بـ(ثم) يفيد التعقيب وأن مشيئة العبد بعد مشيئة الله سبحانه، وهي من باب المسبب الذي يهيئه الله سبحانه لينال الإنسان بغيته، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [38] . وهذه الآية دليل على أن مشيئة العبد داخلة في مشيئة الله سبحانه .

ويستفاد من هذا الحديث أن الموجه سواء أكان والداً أو معلماً أو داعية أن يأتي بالبديل المناسب الذي يفرّج هذه المشكلة ويحلها، ولهذا من الخطأ أن يحذّر الإنسان من شيء ويسكت عن البديل الموجود والشيء الرافع للعنت والمشقة.

الوقفة الثالثة :

الحديث الذي أورده المصنف في الرجل الذي قال للنبي ✕ : ما شاء الله وشئت ، فنهاه النبي ✕ وقال: (**أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده**)، هو تأكيد لما جاء في أول الباب، ولا شك أننا مأمورون بتعظيم النبي ✕

---

[38] () **سورة التكوير، الآية (29).**

ومحبته ، وتقديم هذه المحبة على جميع المحاب سوى محبة الله سبحانه، بل إنه يجب علينا أن نحب الرسول ﷺ أحب من أنفسنا وأولادنا كما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)** [39] .

ولهذا حينما قال عمر ﷺ : إنك يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي قال ﷺ : **(لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك)** فقال عمر: والله إنك أحب إلي من نفسي ، فقال ﷺ : **(الآن يا عمر)** [40] .

ومحبته ﷺ واجب عقدي ، ومن أهم درجات محبته بعد تعظيمه في القلب اتباع ما أمرنا به واجتناب ما نهانا عنه ﷺ .

وهذا الرجل الذي قال هذه اللفظة في الحديث عرف واجب تعظيم النبي ﷺ ولكنه أخطأ حينما زاد في تعظيمه ﷺ حتى جعله مساوياً في اللفظ لله عز وجل ، أما ما في قلبه فالله أعلم به، ولا ريب أن هذا غلو في تعظيم النبي ﷺ ، ولذلك أنكره عليه الصلاة والسلام حيث جعله لله نداً، والند : النظير والمثيل والمساوي، والرسول ﷺ أشرف عبد وأكرم رسول ولكنه لا يصل إلى منزلة لله تبارك وتعالى .

وهذا الاستفهام الوارد في الحديث هو للإنكار على هذا الفعل .

وهنا قد يقول قائل : إن النبي ﷺ قال: **(إنما الأعمال بالنيات)** فإذا كانت النية سليمة فلا إشكال . فيقال : النية وحدها لا تكفي دون حسن العمل وصوابه، ومن حسن العمل القول واللفظ ، فلا يمكن أن يشرك الإنسان بالله عز وجل ويقول: قصدي حسن ونيتي سليمة. ولهذا من شرط قبول العمل أن يكون على وفق ما جاء به النبي ﷺ مع إخلاص العمل لله سبحانه .

ولأن الألفاظ يحاسب عليها الإنسان، لم يقل ﷺ لهذا الرجل ماذا تقصد بهذه اللفظة؟ وما نيتك؟ فدلّ على أنهُ ينكر على من قال هذا وإن لم يقصد ظاهر العبارة ودفعاً لإيهام الترتيب والمساواة بين الخالق والمخلوق.

الوقفة الرابعة:

أورد المصنف حديث الطفيل الذي رأى في المنام رؤيا حق، وجاء فيها أن اليهود يقولون: عزير ابن الله، تعالى الله عما يقولون ، وعزير هو

---

[39] () رواه البخاري في كتاب: الإيمان ، باب : حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم (14)، ورواه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب : وجوب محبة الرسول ﷺ من الإيمان ، برقم (70) .

[40] () رواه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور، باب : كيف كانت يمين النبي ﷺ ، برقم (6257).

رجل صالح يدعي اليهود كذباً وزوراً وبهتاناً أنه ابن الله عز وجل فأشركوا مع الله، والنصارى يدعون أن المسيح وهو عيسى بن مريم عليه السلام ابنٌ لله كذباً وزوراً وبهتاناً، ولذلك يقولون: إن الله ثالث ثلاثة مع المسيح ومريم، تعالى الله وتقدس عما يقولون.

ثم ذكر المصنف هذا الحديث بتمامه، وفيه إقرار النبي ✕ لهذه الرؤيا الصالحة ، وأمرهم أن يعملوا بمقتضاها، وهذا الأمر مبني في الأصل على التشريع الرباني وليس قائماً على هذه الرؤيا فقط ، لأن الرؤيا بعد انقطاع الوحي بموت النبي ✕ لا يبنى عليها أحكام شرعية .

وفي هذا الحديث قولـه ✕ : (.. **وإنكم قلتم كلمة يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده)** وقد ذكر أهل العلم أن قولـه ✕ : (يمنعني كذا وكذا) أي الحياء بأن أخبركم بشيء لم أؤمر به ولم يوحى إليّ شيء بشأنه، وإلا ما كان ✕ ليسكت على خطأ في الأمة ومنكر قد وقع به بعضهم أمامه، إذ يعتبر سكوته ✕ عن أي مسألة من المسائل إقراراً بما عمله الناس، ولو كان خطأ لبينه ✕ أو بينه الله سبحانه وتعالى لنبيه ✕ حتى لو على سبيل العتاب كما في أول سورة عبس ، والله أعلم .

الوقفة الخامسة :

الرؤى والأحلام التي تعرض للنائم على ثلاثة أقسام بالإجمال:

القسم الأول: الرؤيا وهي التي تأتي بصورة واضحة ليس فيها تخويف ، وليس فيها مزيج من الوقائع والأحداث التي لا أول لها ولا آخر ، فهذه رؤيا حق، وهي التي أخبر عنها النبي ✕ أنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة؟ وهذا النوع يكون إما بشارة بخير أو تحذيراً من شر، والواجب على المسلم هنا أن يحمد الله ويشكره أن هيأ لـه ما يبشره أو يحذره أو ينذره، وعليه ألا يخبر بهذه الرؤيا إلا من يحب ويعرف أن هذا المُخبَر يحب لـه الخير، وعليه ألا يسأل عنها إلا من يجيد التعبير لأجل ألا يصرفها عن تعبيرها الصحيح . ومثال هذا النوع رؤيا يوسف عليه السلام حينما قال: **(يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)** [41] .

القسم الثاني : وهي التي يأتي بها تخويف أو ترويع للرائي، كأن يرى في المنام أن يسقط من مكان شاهق ، أو أن سيارة تصدمه أو أن شخصاً يريد قتله ... وهذا النوع لا عبرة به ، وعلى المسلم إن رأى شيئاً من ذلك أن ينقلب إلى جنبه الآخر، وينفث عن يساره ثلاثاً، ويتعوذ بالله من

---

[41] () سورة يوسف، الآية (4).

الشيطان الرجيم ومن شر ما رأى ، وإن زاد على ذلك وقام وتوضأ وصلى ركعتين فحسن، ومن قام بهذه الآداب فلا تضره هذه الرؤيا كما أخبر بذلك النبي ﷺ ، وهنا ينبغي للمسلم أن يحرص على تحصين نفسه بالأذكار قبل أن ينام لتندفع عنه الرؤى المنغصة التي يكرهها .

القسم الثالث: وهي الأحلام التي تأتي على شكل قصص لا أول لها ولا آخر ، ويدخل في هذا ما يراه الإنسان في الليل مما عمله في النهار، وهذه أضغاث أحلام لا عبرة بها وغالباً ما يكون النائم قد أكل أو شرب كثيراً، أو يكون مشغول الذهن في النهار بقضية ما فيراها في الليل، فهي صورة انعكست في الليل من عمل النهار.

هذه الأقسام هي مجمل ما يراه النائم . ولا شك أن تأويل الرؤى علم مستقل كما أخبرنا سبحانه بذلك فقال: ﴿**وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾[42] ومن المعلوم أن للفراسة دوراً فيها، وهي تحتاج للممارسة وتركيب أجزاء هذه الرؤيا، ويدخل في ذلك ظروف الزمان والمكان وظروف الشخص نفسه، ولهذا يرى الإنسان الرؤيا ويراها آخر ويختلف التعبير ، لاختلاف حالهما، فرؤيا العالم غير رؤيا التاجر غير رؤيا الأم غير رؤيا الصبي، والرؤيا وقت الحرب غير الرؤيا وقت السلم، ولهذا من الأدب ألا يُسأل عن تعبير الرؤى إلا من عرف عنه التعبير الصحيح أو غلب على الظن ذلك، وليس كل من اشتهر أمره بين الناس صار معبراً.

ومما ينبغي التنبيه لـه في هذا المقام أن بعض الناس تعلقوا بهذه الرؤى ، بل إن بعضهم علق عليها أحكاماً عامة للأمة، وهذه للأسف فيها شيء من ضعف الإيمان وكيف يكون ذلك ؟!

والجواب عليه أن يقال: كأننا نقول للناس بلسان الحال لا تعملوا فنحن سننتصر يوم كذا، وسيحل العذاب بالعدو يوم كذا، وقد يرقد كثير من المسلمين ويقعدون عن تحصيل أسباب النصر والظفر على الأعداء، اعتماداً على مثل هذه الرؤى التي كثيراً ما تخطئ، وهذا العمل غير صحيح، بل علينا أن نأخذ بأسباب النصر مثلاً فقد أمرنا بذلك .

وهنا على المسلم ألا تشغل الرؤيا وقته فيكون همه السؤال عما رآه في المنام، ويفرح أشد الفرح بالتعبير المبشر ويغتم من ضده ، وكأن هذا التعبير سابق لقدر الله أو أن هذا التعبير واقع لا محالة، بل على المسلم أن يهتم بأمور دينه أولاً، ولا مانع من السؤال عن الرؤى أحياناً ، نسأل الله للجميع الإعانة والتوفيق .

---

[42] () **سورة يوسف ، الآية (21).**

44- بَابٌ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ

وقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ [الجاثية:24].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ»[43] وفِي رِوَايةٍ: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»[44].

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(الدهر) : هو الزمان والوقت .

(يؤذيني): أي يلحق الأذى بي، ولا تعني وقوع الضرر على الله تبارك وتعالى .

(يسب): السب هو : الشتم والذم والتقبيح .

(أنا الدهر): أي مدبر ومصرف الدهر .

الوقفة الثانية:

---

[43] () **أخرجه البخاري (رقم 4826) ومسلم (رقم 2246/2).**

[44] () **أخرجها مسلم (رقم 2246/5).**

سب الدهر والزمان يأتي على ثلاثة أقسام :

القسم الأول: أن يكون السب لهذا الدهر اعتقاداً بأنه الفاعل للفعل، وأن الزمن هو الذي فعل هذا الشيء، فمثلاً يخسر في صفقة تجارية فيسب الوقت الذي خسر فيه معتقداً أن الزمن هو الفاعل لهذه الخسارة ، فاعتقاد أن الزمن هو المؤثر والمقلب للأمور شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ؛ لأن الله هو الفاعل والمقدر والخالق لهذه الأمور ، ومن اعتقد أن مع الله خالقاً فقد كفر .

القسم الثاني: أن يسب الدهر، ولكن يعتقد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى ، لكنه سب هذا الزمن لأنه وقع لـه هذا المكروه في هذا الزمن، فهذا لا يصل إلى درجة الشرك وإنما هو محرم .

القسم الثالث: أن يصف الدهر بأوصاف غير محبوبة ولا طيبة وقصده بذلك الخبر المجرد دون الاستنقاص؛ كقول القائل: هذا يوم شديد الحر، هذا يوم متعب ، ومنه قول لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿**هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ**﴾ [45] . فوصف ما وقع من الشدة في هذا اليوم بهذا الوصف، أمر جائز لا يصل إلى التحريم ، ولكن الأفضل للمسلم ترك ذلك وأن يعلم أن جميع الأمور في تقدير الله عز وجل.

الوقفة الثالثة:

أورد المصنف - رحمه الله - قول الحق تبارك وتعالى : ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾ والقائل هم المشركون، وذلك حينما أمرهم النبي ﷺ باتباعه وبشرهم وأنذرهم، لم يستجيبوا لـه عليه الصلاة والسلام ، وقالوا هذا القول ، والذي يعني - باعتقادهم - أن من طال عمره فمات فقد مات من الدهر، ومن مات قبل أن يطول عمره فقد أهلكته الهموم والأمراض، ولا ريب أن هذا الاعتقاد خاطئ ، وشرك أكبر بالله عز وجل كما مر معنا في النوع الأول؛ لأنهم يعتقدون أن الزمن هو الفاعل والخالق، سواء كان بطوله و ما وقع فيه من المشكلات والمصائب وغيرها .

الوقفة الرابعة :

أورد المصنف حديث أبي هريرة ﷺ ، وهو حديث قدسي ، والمراد بالحديث القدسي ما كان معناه من الله عز وجل ، ولفظه من النبي ﷺ ، ولا يتعبد بتلاوته .

وقد جاء في هذا الحديث قولـه تعالى : (**يؤذيني ابن آدم**) أي يُلحق الأذى بي، فالأذية ثابتة لله سبحانه وتعالى، فنحن نثبتها كما أثبتها لنفسه،

---

[45] () **سورة هود، الآية (77).**

لكن ما نوعها ؟ هل هي كأذية المخلوق؟ لا شك أنها ليست كأذية المخلوق ، بدليل قول الله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [46] ، فنحن نثبتها ونعلم معناها لكن لا ندري عن كيفية الأذى .

ولكن الذي ينبغي التنبيه لـه في هذا المقام أن الأذية لله لا تستلزم الضرر على الله تعالى وتقدس ، ولقد جاءت عدة نصوص تثبت هذه الأذية، ومن ذلك قولـه تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾ [47] ولهذا ولله المثل الأعلى تجد الإنسان قد يتأذى من الصوت القبيح أو الرائحة الكريهة ولكن لا يضره، ولهذا قال تعالى في من حسد من المؤمنين: ﴿**لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلا أَذىً**﴾ [48] والإنسان يتأذى من أشياء كثيرة لا تصل به إلى درجة الضرر .

وقوله في الحديث : **(وأنا الدهر)** أي أنا مدبر الدهر ومصرفه، ولهذا فسره بما بعده فقال: **(أقلب الليل والنهار)** فلذلك أُول بهذا التأويل أنا مدبر الدهر ومصرفه، وتقليب الليل والنهار من الطول إلى القصر ، والحوادث والمقادير كلها تقع في الزمن والدهر، والله سبحانه هو الذي يغيرها .

وأما الرواية الثانية وهي قولـه: **(فإن الله هو الدهر)** فهي بالمعنى نفسه، فإن الله هو مدبر الدهر ومصرفه، وهذا نهي عن سب الدهر .

الوقفة الخامسة :

الذي ينبغي على المسلم ألا يعود نفسه على الألفاظ التي يريد منها الإخبار ولا يقصد بها سب الدهر؛ كقوله: هذا يوم تعبت فيه ونحوه، ومن باب الأولى إن كان قصد السب؛ لأن من المعلوم أن الذي يوقع هذه الأشياء هو الله سبحانه وتعالى، ولذلك لا يخلو إما أن يقع على الإنسان ما ظاهره خير أو يكون ظاهره شرّاً، فإن كان ظاهره خيراً فليحمد الله ويشكره ويُسر بذلك، وإن كان ظاهره شراً فلا شك أن الواجب هو الصبر ومن ثم الرضا بما قسمه الله لـه وقدره ، فقد تقلب المحنة منحة من الله، ويتعامل معها التعامل الإيجابي ؛ **لأن كل حدث في الدنيا لـه وجهان:**

وجه إيجابي ووجه سلبي .

ولنأخذ على ذلك مثلاً وهو حادث السيارة : فقد يأخذه الإنسان من الوجه السلبي من الخسارة المادية أو حدوث إصابات في جسم هذا الشخص أو ابنه . ولكنه ينسى الوجه الإيجابي فقد يكون هذا الحادث درءاً لشر أكبر أو حادث أعظم ، ولربما كان سبباً ليقظته من غفلته، وسبباً

---

[46] () **سورة الشورى ، الآية (11).**

[47] () **سورة الأحزاب ، الآية (57).**

[48] () **سورة آل عمران ، الآية (11).**

لرجوعه إلى الله بعد أن أخذ العظة والعبرة من هذا الحادث، وقد يكون رفعة لدرجاته بسبب الأجر المترتب على صبره على هذه المصيبة . ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن النبي ✕ قال: **(عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً لـه، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً لـه)**[49] .

45- بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ ونَحْوِه

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عنِ النَّبِيِّ ✕ ، قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسمٍ عِنْدَ اللهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ، لا مَالِكَ إِلاَّ اللهُ»[50]، قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ. وفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وأَخْبَثُهُ»[51]. قَوْلُهُ: «أَخْنَعُ» يَعْنِي أَوْضَعَ.

---

[49] () رواه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، برقم (2999).

[50] () أخرجه البخاري (رقم 6206) ومسلم (رقم 2143).

[51] () أخرجها مسلم (رقم 2143/21).

الوقفة الأولى :

أخنع : فسره المؤلف بأنه وضع اسم عند الله سبحانه .

وقد أورد المصنف هذا الباب في كتاب التوحيد؛ لأن التسمي بقاضي القضاة أو حاكم الحكام أو ملك الأملاك أو سلطان السلاطين ونحوها هو من باب الشرك بالله سبحانه وتعالى، إذ هو قادح في أصل التوحيد، فقاضي القضاة وحاكم الحكام هو الله تبارك وتعالى، ومن تسمى بذلك فقد جعل نفسه شريكاً مع الله تبارك وتعالى فيما لا يكون إلا لله .

الوقفة الثانية:

أورد المصنف حديث أبي هريرة وهو أصح الدلالة في تحريم التسمي بملك الأملاك ، فلا مالك إلا الله، ولهذا جاء في قراءة لآية الفاتحة: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [52] والقراءة الثانية (ملك) فلله الملك والخلق والتدبير، فلا خالَق ولا مدبر ولا مالك إلا الله سبحانه وتعالى، ولذا قال تبارك وتعالى : ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾ [53] .

وقال سفيان - وهو ابن عيينة - رحمه الله : ومثل شاهان شاه ، وهذه بالفارسية تعني ملك الأملاك .

ولهذا يمكن أن يقال بدل قاضي القضاة ، رئيس القضاة أو مسؤولهم ، وفي ذلك إعطاؤه لقباً لا يختص بالله عز وجل ويدل على المعنى المراد به .

46- بَابُ احْتِرامِ أَسْمَاءِ اللهِ وتَغْيِيرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ: أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الحَكَمِ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ✕ : «إِنَّ اللهَ هُوَ

---

[52] () **سورة الفاتحة ، الآية (4).**

[53] () **سورة الملك، الآية (1).**

الحَكَمُ، وإِلَيْهِ الحُكْمُ» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلا الفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَالَك مِنَ الوَلَدِ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، ومُسْلِمٌ، وعَبْدُ اللهِ. قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»[54]، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وغَيْرُهُ.

الوقفة الأولى:

هناك جملة قواعد وأسس في باب أسماء الله تعالى ينبغي لمسلم معرفتها واستحضارها، ومن هذه القواعد ما يلي :

1- أن لله سبحانه وتعالى أسماءً سمى بها نفسه أو سماه بها رسوله ﷺ ، وهذه الأسماء توقيفية بمعنى أن ليس لنا أن نخترع ونحدث اسماً لله سبحانه وتعالى لم يرد في الشرع، بل المرجع هو القرآن وأحاديث النبي ﷺ ، ولهذا قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[55] .

---

[54] () **أخرجه أبو داود برقم (4955) والنسائي (8/226- 227 رقم 5384) والحاكم (1/24) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 1845).**

[55] () **سورة الأعراف (الآية:33) .**

2- أن أسماء الله تبارك وتعالى في أعلى درجات الحسن، ولهذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾[56] .

3- أن أسماء الله سبحانه بعضها معلوم لدينا والبعض الآخر مجهول، ولذلك جاء في حديث ابن مسعود مرفوعاً إلى النبي ✕ في الدعاء: (**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك...**)[57] .

وأما قولـه النبي ✕ (**إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة**)[58] ، فليس المقصود حصر أسماء الله سبحانه وتعالى في تسعة وتسعين اسماً فقط، بل فيه إثبات التسعة والتسعين اسماً لله ولا ينفي غير هذا العدد، بل هي أزيد كما في حديث ابن مسعود، والظاهر من قولـه ✕ : (**من أحصاها**) أنه ليس المراد من عدّها بل المراد من عمل بدلالة هذه الأسماء ودعا الله بها، مثل اسم: الغفور، فنقول يا غفور اغفر لي، ثم تعمل بمقتضى هذا الاسم، فتعمل ما يقتضي رحمة الله سبحانه من الأعمال الصالحة، وتترك ما ينافي الرحمة من الشرك والمعاصي.

4- أن أسماء الله سبحانه وتعالى دالة على ذاته وهي دالة أيضاً على صفاته جلّ وعز، فالله سبحانه اسمه الرحمن وهو متصف بالرحمة، وأما المخلوق فاسمه يدل على ذاته فقط، فنقول مثلاً؛ فلان اسمه صالح لكن قد يكون غير صالح، فلا يدل الاسم للمخلوقين على الصفة [59] .

الوقفة الثانية :

حديث أبي شريح الذي أورده المصنف يحمل جملة فوائد من أهمها :

1- أنه لا يجوز التسمي بالحكم، ولا باسم من أسماء الله سبحانه الأخرى، وإذا سمي الإنسان به فيجب تغييره .

2- أن المراد بالحكم المستحق بأن يكون حاكماً على العباد، فلأجل ذلك

---

[56] سورة الأعراف (الآية:180) .

[57] تقدم تخريجه في الباب رقم (41) .

[58] رواه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحداً، برقم (6957) ورواه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله وفضل من أحصاها برقم (2677) .

[59] للاستزادة انظر: القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسنى، لابن عثيمين .

غيره ﷺ ، فالله هو الحكم .

3- حسن الإنكار والدعوة، والتغيير، فالنبي ﷺ لم يعنفه بل لاطفه بقوله: **(ما أحسن هذا ؟)** أي الإصلاح بين الناس، ثم بدأ بالاشتراك معه لإعطاء البديل والمخرج لهذه القضية فقال ﷺ لـه: **(فما لك من الولد؟)** ولم يقل ﷺ : من أكبر أولادك؟ لأن الإنسان حينما يُسأل عن أولاده ويعددهم غالباً ما ينشرح صدره وتنبسط أساريره، ثم يسهل تغيير المنكر، وفي ذلك درس للآباء والأمهات والدعاة والمربين والمسؤولين في حسن التعامل مع الغلط والجهل ، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[60]، وقال سبحانه لموسى وهارون في أمر دعوتهما لفرعون الطاغية: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[61]، وبلا شك أن الله سبحانه علم أن فرعون لن يؤمن، ولكن ليعلم الدعاة أن هذا هو طريق الدعوة . وقال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[62]، وهنا نلاحظ كلمة (أحسن) وهي من صيغ التفضيل، وهي تعني أعلى درجات الحسن.

بل إنه ﷺ أمر أمراً عاماً بحسن الخُلق مع الناس حتى في غير أمور الدعوة فقال: **(وخالق الناس بخلق حسن)**[63] .

وندب إلى الإصلاح بين الناس، ولهذا أثنى النبي ﷺ على صنيعه وشجعه عليه، وجاء في قولـه تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[64].

الأولى أن يكنى الإنسان باسم الأكبر من أبنائه فهو الأقدم، وقد كان لأبي شريح ابن أصغر اسمه (عبدالله) وكما هو معلوم أنه أحب الأسماء إلى الله مع عبدالرحمن.

الوقفة الثالثة :

حكم الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: حكم كوني قدري، وهذا لا أحد من المخلوقين يستطيع

---

[60] **سورة آل عمران (الآية:159) .**

[61] **سورة طه (الآية:44) .**

[62] **سورة النحل (الآية: 125) .**

[63] **رواه الترمذي في كتاب: البر والصلة، باب: معاشرة الناس، رقم (1987) .**

[64] **سورة النساء (الآية: 114) .**

رده، فلا أحد يرد المطر ولا يجلبه إذا منعه الله سبحانه، والله سبحانه حكم باختلاف الليل والنهار وتقلبهما، وحكمه أيضاً سبحانه بموت شخص لا راد لـه، فهو حكم كوني قدري، كما جاء قول الله تعالى حكايةً عن ابن يعقوب: ﴿**فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾[65] .

القسم الثاني: وهو الحكم الشرعي، وينقسم الناس فيه إلى قسمين: مؤمن وكافر، فالمؤمن ينفذ حكم الله ويرضى به: والكافر من يرد حكم الله سبحانه ولا يعترف به أو يقول: إن حكم غير الله مساوٍ لحكم الله عز وجل، فلو فرضنا أن شخصاً قال: إن الزنا أو الربا أو الخمر حلال، فهذا رد حكم الله فإن جحده فقد كفر، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[66] .

الوقفة الرابعة:

لا شك أنه يشكل على بعض الناس حكم تصغير اسم الله، فمثلاً: عبدالرحمن هل يجوز أن تصغيره إلى رحومي ؟ أو عبدالجيد إلى مجودي ؟ ونحو ذلك مما يفعله كثير من الناس.

الجواب: أن هذا لا يجوز، لأن التصغير توجه إلى اسم الله سبحانه وتعالى، ولكن ما درج عليه بعض الناس من تسمية عبدالله بعبود أو عبودي فهذا يتجه للعبودية فلا شيء فيه، ولذا لا بأس بتصغير بعض الأسماء التي ليس بها اسم الله مثل تصغير محمد إلى حميد أو محيميد وذلك من باب التمليح .

ومما ينبغي التنبه لـه أنه ينبغي للوالد أن يختار لولده من الأسماء أحسنها، لأنه عَلَمٌ عليه وسينادى به في الدنيا والآخرة، وإن سمي باسم غير حسن فينبغي أن يغيره كما فعله النبي ﷺ .

*** *** ***

---

[65] () **سورة يوسف (الآية:80) .**

[66] () **سورة المائدة (الآية: 44) .**

47- بَابُ مَنْ هَزَلَ بشيءٍ فيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القرآنِ أَوِ الرَّسولِ

وقَولِ اللهِ تَعالى: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [التوبة: 65].

عنِ ابنِ عُمَرَ، ومُحمَّدِ بنِ كَعْبٍ، وزيدِ بنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ، دَخَلَ حَدِيثُ بَعضِهِمْ في بعض: أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ في غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هؤلاءِ أَرْغَبَ بُطُونـاً، ولا أَكْـذَبَ أَلْسُناً، ولا أَجْبَنَ عِنْـدَ اللقـاءِ ـ يَعْنِي: رسولَ الله × وأَصْحَابَهُ القُرَّاءَ ـ فَقَالَ لهُ عَوْفُ بنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخْبِرَنَّ رَسولَ اللهِ ✕ . فَذَهَبَ عَوْفٌ إلى رسولِ اللهِ ✕ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ القُرآنَ قَدْ سَبَقَهُ. فَجَاءَ ذَلكَ الرَّجُلُ إلى رسولِ اللهِ × وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيقِ. قَالَ ابنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقاً بِنسْعَةِ نَاقةِ رسولِ اللهِ ✕، وَإِنَّ الحِجَارةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ – وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسولُ اللهِ ✕ : چ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ چ [التوبة: 65 – 66] ما يلتَفِتُ إِلَيْهِ ومَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ[67].

الوقفة الأولى :

شرح مفردات الباب:

(الهزل): الاستهزاء وتنقص أمر من الأمور .

(نخوض): نتحدث حديث الركب الذي يتسامرون .

(قراؤنا): هم الرسول الله 🎁 وأصحابه .

---

[67] () **أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (6/1829 - 1830).**

(أرغب بطونا): أي أوسع بطوناً، فهم أكثرنا أكلاً.
(أجبن عند اللقاء): أي الخوف والخوار عند القتال.
(نسعة الناقة): الحزام الذي يربط به الحل .
(تنكب): أي تضرب الحجارة قدميه من سرعته إذ أن الناقة أسرع منه، وهو يحاول اللحاق بالرسول ﷺ لأجل الاعتذار .

الوقفة الثانية:

الهزل والاستهزاء والسخرية والتلاعب بالألفاظ ينقسم إلى قسمين.

القسم الأول: الهزل أو الاستهزاء بشيء فيه ذكر الله، ويدخل فيه الأحكام الشرعية وآيات الله سبحانه وتعالى، سواء الآيات الكونية أو الآيات الشرعية أو القرآن الكريم، وكذا الهزل بالنبي ﷺ أو سنته أو بأحد من الأنبياء والمرسلين، فمن هزل بشيء من هذا فهو كافر كفراً أكبر مخرجاً من ملة الإسلام، ودليل ذلك النصوص التي أوردها المصنف.

القسم الثاني: الهزل أو الاستهزاء بالناس، فهذا لا يصل إلى الكفر ولكنه كبيرة من كبائر الذنوب، كالسخرية من الأعور أو الأعرج أو قصير القامة وطويلها ونحو ذلك من الصفات، ودليل التحريم أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أشارت إلى إحدى زوجات النبي ﷺ بأنها قصيرة، فغضب النبي ﷺ وقال: (**إنك قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**)[68] ، فهذه كلمة واحدة كان فيها استنقاص لو خلطت بماء البحر لغيرته من عظمها، فما بالك بمن تكون مجالسهم جلّها غمز ولمز وهمز وغيبة ونميمة .

وهذا القسم لم يتحدث عنه المصنف، بل تحدث عن القسم الأول .

الوقفة الثالثة:

أورد المصنف قولـه تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾[69]، ذكر في سبب نزولها أنها كانت في غزوة تبوك في الشهر السابع من السنة التاسعة من الهجرة، وقد كان الجو شديد الحرارة، والثمار قد أينعت وطاب قطافها، فكان الأمر شاقاً على الناس، وأشعل المنافقون شعلتهم لتثبيط المسلمين عن الخروج للقتال مع رسول الله ﷺ، وهذه حالة المنافقين إذا اشتد الضيق بالأمة يستغلون الضعف الذي فيها ليفعلوا ما يريدونه، وقد كانوا يقولون أنترك النساء والذرية والثمار ونذهب لعدو بعيد في تبوك وفي هذا الحر ؟

---

[68] () رواه الترمذي في كتاب: صفة القيامةة الرقائق والورع، برقم (2502)، ورواه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، برقم (4875) .

[69] () سورة التوبة (الآية:66) .

وما علموا أن الله أكبر وأقوى ولاسيما وأن الذي يناديهم للخروج هو النبي ✕ الموحى إليه من ربه سبحانه، ويعلمون أن الوحي ينزل عليه بذلك، ومع هذا فلم يردعهم هذا الأمر عن تثبيط المسلمين، ولكن هذا لا يعني أنه لا يذهب بعض المنافقين مع رسول الله ✕ للتخذيل، بل قد ذهبوا معه كما هي عادة المنافقين في إقامة الشعائر والعبادات الظاهرة كما قال سبحانه عنهم: ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلاً**﴾[70] .

وكان سبب هذه الغزوة أن النبي ✕ لما سمع أن الروم مع مجموعة من العرب النصارى قد عزموا أن يغزو النبي ✕ فأراد النبي ✕ أن يدرأ شرهم، فأشار للناس أن استعدو لغزو الروم، فلما علم الروم بذلك توقفوا عن الغزو، فلم يحصل قتال، وفي طريق العودة إلى المدينة وأثناء جلوسهم للراحة كعادة المسافرين في المسامرة، أخذ المنافقون في الاستهزاء بأهل الإيمان والسخرية بالرسول ✕ وبالقرآن وتعاليم الإسلام، فقالوا: ما رأينا مثل قرائنا.... الخ والمقصود بالقراء هنا العلماء ولكن من رأس العلماء ؟ هو علم العلماء رسول الله ✕، ثم وصفوهم بأوصاف سيئة من الأكل الكثير والكذب في الأخبار والجبن والخوف عند القتال .

ثم إن الصحابي الجليل عوف بن مالك أدرك فداحة وخطر ما قاله هذا المنافق فذهب يخبر رسول الله ✕ بما قاله فوجد أن الوحي قد سبقه .

وهنا جاء المنافق إلى النبي ✕ يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، والرسول ✕ لا يرد عليه إلا بما أُنزل ﴿**أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾، بمعنى هنا انتهى عندكم كل شيء من الكلام إلا الاستهزاء بالله ورسوله ✕ ؟!!

الوقفة الرابعة:

الاستهزاء بالله تبارك وتعالى أو برسوله ✕ لا يختلف فيه اثنان أنه كفر مخرج من الملة، ولكن لابد أن يعلم أن من استهزأ بآية من كتاب الله أو بشيء من تعاليم الإسلام وأوامره وشعائره كالصلاة وإطلاق اللحية أو تقصير الثياب أو الحجاب للمرأة أن هذا قد يصل به إلى الكفر، لأن هذه الأمور قد شرعها الله من فوق سبع سماوات، ولو قيل لـه: إنك تستهزأ بالدين قال: إنما أنا أتحدث حديث الركب، ولكن يقال: إن مساحة الكلام والدعابة كبيرة جداً فاذهب لغير هذا الكلام.

وليعلم أن الاستهزاء ليس محصوراً بالكلام فقط فقد يكون بالإشارة

---

[70] () **سورة النساء (الآية: 143) .**

وقد يكون شعراً منظوماً أو نثراً مكتوباً أو مسرحية أو مسلسلاً متلفزاً أو رسومات ونحوها.

ومما يدل على فضاعة الاستهزاء بالله ورسوله أن العلماء اختلفوا هل تقبل توبة من سب الله ورسوله ✕ في الدنيا؟ والصحيح أن توبته تقبل ولا يقتل لذلك إن ظهرت توبته.

وهنا يلتبس على بعض الناس فقد يقول إن فلاناً رجل طيب خلقه يُصلي معنا فكيف يقع في مثل هذا الأمر ؟ فليعلم أن الشيطان يسهل على الإنسان أمر الاستهزاء فيقع لـه من حيث لا يشعر، فإن قيل له: إنك تسخر بالله قال: أعوذ بالله، ولكن السخرية بالشرع هي سخرية بالله، فمن أنزل هذا الشرع؟ إنه الله سبحانه وتعالى، ولذا جاءت الآية قوية وصريحة في قضية الاستنكار: ﴿**لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ**﴾، ولهذا على الإنسان أن يحاسب نفسه وليتذكر قولـه تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[71]، وقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[72] .

الوقفة الخامسة:

إن ما حصل من الصحابي الجليل عوف بن مالك ﷺ هو من إنكار المنكر، والإنكار كما هو معلوم على درجات، فأعلاه التغيير باليد، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه، ومن الإنكار عدم الجلوس في المكان، ولكن إذا كان لا يستطيع الإنكار ولا الانصراف فله الإنكار بقلبه.

قال عليه الصلاة والسلام : **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)** [73] ولا شك أن الاستهزاء بالله تعالى أو برسوله ✕ أو بما جاء عنهما من أعظم المنكرات.

---

[71] () **سورة ق (الآية: 18) .**

[72] () **سورة الزلزلة (الآية:7، 8) .**

[73] () **رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد ، برقم (70) .**

48- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالى: ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ھ ھ ہ ہ ۀ ۀ ڻ **[فصلت: 50].**

قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي وأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ». وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي». وقولُهُ: " قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ " [القصص: 78]. قالَ قَتادَةُ: «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ المكَاسِبِ». وقَالَ آخرونَ: «عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ». وهَذَا مَعْنَى قَولِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ✕ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ **اللهَ** أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً ، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ . قَالَ : فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً وَجِلْداً حَسَناً قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ ، أَوْ الْبَقَرُ ، «شَكَّ إِسحاق» فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ : بَارَكَ **اللهَ** لَكَ فِيهَا قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعَراً حَسَناً . فَقَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَو الإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً ، قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهَ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: فَمَسَحَهُ ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ .قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِداً، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا. فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ .

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلا بَلاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي . فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيراً، فَأَعْطَاكَ اللهُ عزَّ وَجلَّ المَال؟فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ . فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهَ إِلَى مَا كُنْتَ.

قال: ثم إنه أَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وهيئته ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا . فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ .

قال: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وهيئته ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي . فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ

اللهَ إِلَيَّ بَصَرِي فَخُذْ مَا شِئْتَ ، وَدَعْ مَا شِئْتَ . **فواللهِلا** أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئاً أَخَذْتَهُ **للهِ**. فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[74] أخرجاه.

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(يبتليهم) : أي يختبرهم .

(أبرص): البرص هو بياض يظهر على جلد الإنسان، إذ تزول الطبقة الأولى، وتأتي الطبقة التي تليها .

(أقرع) : من ليس لـه شعر في رأسه .

(ناقة عشراء) : أي حامل في شهرها العاشر، فهي قريبة الولادة .

(كابراً عن كابر): أي ورثته أباً عن أب، وقيل شريفاً عن شريف.

(لا أجهدك): أي لا أشق عليك برد شيء تأخذه من مالي.

الوقفة الثانية:

صدر المصنف - رحمه الله - هذا الباب بالآية الكريمة وهي قول الحق عز وجل : ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي**﴾ وفي ذلك إشارة إلى أمر هام وهو أن شكر نعمة الله عز وجل

---

[74] () **أخرجه البخاري (رقم 3464) ومسلم (رقم 2964).**

والاعتراف بها وعدم كفرانها ونكرانها يؤدي إلى زيادتها ، ولذلك جاء في الآية الأخرى قولـه سبحانه : ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[75] .

وهذه النعم الواجبة الشكر تتنوع في جسد الإنسان من سمع وبصر ويد ورجل وقوة وصحة ونشاط في البدن، وتكون في الفكر والعقل، وتكون أيضاً في المال والجاه والأبناء، ونعمة تسخير بعض الناس لبعضهم ، ونعمة العمل والإنتاج . هذه كلها من رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان .

وهنا نجد التابعي الجليل مجاهد بن جبر رحمه الله فسر هذه الآية بأن ينكر هذا العبد نعمة الله عليه ويقول: إن ما حصل لي من نعمة فهو بكسبي وبعلمي وبطريقة تحصيله، وهذه النعم هي حق لي، وكلام ابن عباس في تفسير الآية قريب منه يكمل بعضهما الآخر، ولذلك من قال بهذا القول فقد كفر، ولهذا قال سبحانه تكملة لهذه الآية : ﴿**لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ [76] .

الوقفة الثالثة:

قصة الثلاثة من بني إسرائيل التي جاءت في حديث أبي هريرة تفيد أن كفران النعمة سبب لذهابها، فهذا الأقرع والأبرص لما نسبوا نعمة المال لآبائهم ، وجحدوا نعمة الله عليهم رجع إليهم المرض ومحق المال والعياذ بالله، أما الأعمى الذي شكر نعمة الله عليه فهذا بارك الله لـه في ماله واستمر في صحته وعافيته، ومن أهم الفوائد المستنبطة من هذا الحديث أيضاً :

- أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه .
- أن الملائكة يتشكلون حتى على صورة بني آدم.
- جواز أن يدعو الإنسان لنفسه بالشفاء من المرض الذي أصابه، ولا يكون هذا من الاعتراض على قدر الله.
- فضيلة الزهد في الدنيا، وأنها تجر لصاحبها النعيم والخير في الدارين ، فالأعمى لما زهد بارك الله لـه في الدنيا ورضي عنه في الآخرة [77] .

الوقفة الرابعة:

---

[75] سورة إبراهيم ، الآية (7).

[76] سورة فصلت ، الآية (50).

[77] ينظر: القول المفيد (2/293).

ما حكم كفران النعمة؟

الجواب : قد يكون كفران نعمة الله على العبد قادحاً في أصل التوحيد ومخرجاً من الملة ، وقد يكون قادحاً في كمال التوحيد ولا يخرج من الملة، فإن كان كفران النعمة بإنكار ما أسداه الله سبحانه وتعالى لهذا الشخص أو بأن يشرك مع الله غيره فيقول : هذه النعمة ليست من الله وحده بل هي أيضاً من الولي الفلاني أو من القبر الفلاني أو هي من الشخص الفلاني والله سبحانه لا إرادة لـه في ذلك فكل ذلك لا شك أنه كفر مخرج من الملة ويقدح في أصل التوحيد .

أما إن كان يقول : إن هذه النعمة من فلان، ولكن لا يقصد أن فلاناً صاحب هذه النعمة الأساسي، وإنما يقصد أنه هو الذي عمل وكد وجد وتكلم ثم أتت هذه النعمة دون أن يسندها إلى الله سبحانه وتعالى فهذا نوع من كفران النعمة ولكن لا يخرج عن الإسلام، وهذا خطره كبير لأنه وسيلة من الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر بالله عز وجل بعد مضي فترة من الزمن فينسى الإنسان ربه ، ولذلك كان قول القائل في النعمة : إنما حصلت عليها بذكائي وعبقريتي، أو أعرف من أين أدخل ومن أين أخرج ، من كفران النعمة وإن كان لا يخرج من الإسلام إن اعتقد أن المنعم هو الله، ولكن قد يصل

به الغرور إلى جحود نعمة الله تبارك وتعالى وبذلك يخرج من الإسلام، كما قال قارون : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ژ [القصص: ٧8] وقد وصل بذلك إلى درجة كبيرة من الغرور والتكبر على الله عز وجل .

الوقفة الخامسة:

شكر الله تعالى على النعمة لابد أن يكون قائماً على أركان ثلاثة :

الركن الأول: أن يكون الشكر بالقلب، وذلك بأن يعترف بقلبه يقيناً أن هذه النعمة من الله سبحانه، فلم يستحقها بذكائه ولا بعبقريته ولا بحيلته ولا بشيء من هذا كما قال سبحانه : ژ ئى ئى ی ی ئج ئح ژ [78] .

الركن الثاني: أن يكون الشكر باللسان، وذلك بأن يحمد الله عز وجل بلسانه ، ولهذا قال سبحانه : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ژ [79] .

الركن الثالث: إشغال هذه النعمة بطاعة الله سبحانه، بأن تشترك الجوارح في شكر النعمة فلا تستعمل في محرم ، بل تسخر لطاعة المنعم عز وجل، فمن كفر النعمة أن ترى بعينك حراماً أو تتكلم بلسانك في محرم أو تمشي برجلك إلى محرم، أو أن تستخدم مالك في محرم ونحو ذلك.

---

[78] () **سورة النحل، الآية (53).**

[79] () **سورة الضحى ، الآية (11).**

الوقفة السادسة :

كثيراً ما نشاهد اليوم مظاهر لكفران النعمة وعدم الاكتراث بها، ومن ذلك الإسراف في ولائم الأعراس والمناسبات، فتجد عدداً كبيراً من الذبائح تذبح ولا تؤكل ومن ثم ترمى في أماكن النفايات . ومن مظاهر الإسراف أيضاً الإسراف في الألبسة ولا سيما ملابس النساء في الحفلات فتدفع فيها الأموال الباهظة ، وتكون باباً من أبواب التباهي والتفاخر والتمايز بين الناس .

ومن ذلك أيضاً الإسراف في المنازل والمراكب في أمور لا داعي لها، وبأموال كثيرة ، ولو صرفت هذه الأموال في وجوه البر لكن أولى.

وهنا ينبغي أن يكون وجهاء الناس هم القدوة في ذلك، ولو قلصت التكاليف وعمل بالمبلغ المفترض إنفاقه في هذه الوليمة لمشروع بر للعائلة كلها لكان خيراً بلا شك .

وهنا ينبغي أن يُفَعّل دور الجمعيات الخيرية التي تستقبل فائض الطعام واللباس لتوزعه على الفقراء، وأن يوّعى الناس بذلك حتى تشكر النعم فتدوم، نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

الوقفة السابعة :

بعض أخطاء الناس في هذا الباب:

يقول بعض عامة الناس - هداهم الله - في معرض حديثهم عن النعمة أو النقمة والبلاء الذي يحل بشخص من الأشخاص : إن فلاناً يستاهل كذا ، أو لا يستاهل ... وعند التأمل بهذا القول نجد كأنهم احتجوا على الله تبارك وتعالى بأن أعطى فلاناً ولم يعطِ الآخر، ومن يقول هذا الكلام لا يستشعر بأن هذه الكلمة فيها خطورة عظيمة، فالمفسرون قالوا عن قول قارون : ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ أي: على علم من الله أني لـه أهل، نسأل الله للجميع السلامة والعافية.

وبعض الناس يريد ألا يخبر الآخرين بما عنده من النعم التي أنعم الله بها عليه فيتجه إلى إنكارها وهذا خطأ كبير .

والبعض الآخر راتبه الشهري جيد وإن كان آخرون أفضل منه ، فإذا سئل عن هذا أظهر علامات التأفف والضجر والتعب النفسي بأن فلاناً أفضل منه، وأن الجهة الفلانية تعطى أكثر راتباً، إلى غير ذلك مما يشعر أن الشخص لم يقتنع بما أعطاه الله سبحانه، وهذا يكون لديه نسبة قد تقل أو تكثر من جحود نعمة الله سبحانه ، والنبي ﷺ يرشد لعلاج مثل ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : (**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من**

هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله) [80] وذلك في الأمور الدنيوية، فلكي تعمق شكرك لله فتأمل هذا الحديث جيداً ، فإذا كان مرتبك خمسة آلاف ريال فلا تنظر إلى من راتبه عشرة وإنما تنظر لمن راتبه ألفا ريال، وهكذا انظر إلى من هو أدنى منك سكناً وصحة ونعمة. فيعينك ذلك على شكر الله تعالى.

---

[80]() رواه مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، برقم (2963).

49- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: "فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾"الآية [الأعراف: 190].

قَالَ ابنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ: كَعَبْدِ عَمْرٍو، وعَبْدِ الكَعْبَةِ، ومَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدِ المُطَّلِبِ».

وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ - فِي معنى الآيةِ قَالَ: «لمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجَتكُمَا مِنَ الجَنَّةِ لَتُطِيعَنِي أَوْ لأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقَّهُ، ولأَفْعَلَنَّ ولأَفْعَلَنَّ - يُخَوِّفُهُمَا - سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيْتَاً، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيْتَاً، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ءَاتَىٰهُمَاۚ فِيمَآ شُرَكَآءَ لَهُۥ جَعَلَا [81] رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ.

ولَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ، ولَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ»[82].

ولَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: "لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا" قَالَ: «أَشْفَقَا أَلاَّ يَكُونَ إِنْسَانَاً»[83]، وذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الحَسَنِ وسَعِيدٍ وغَيْرِهِمَا.

الوقفة الأولى :

سبب نزول قولـه تعالى: **فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا**... وهو مجيء الشيطان إلى آدم وحواء عندما حملت بجنين فقال

---

[81] () أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (5/1634).
[82] () المرجع السابق (5/1634).
[83] () المرجع السابق (5/1634).

سمّياه عبدالحارث فلم يطيعاه فوسوس لهما إنه قد يصيبه ما يصيبه. كما هي الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم لما حملت مرة أخرى طغى عليهما حُب الولد فسمَّياه عبدالحارث: فنزل قولـه سبحانه وتعالى بهذه الآية .

وهناك قول آخر: أن هذه الآية ليست في آدم ولا حواء وإنما هي في المشركين؛ لأنهم يصرفون النعم لغير الله سبحانه وتعالى فيشركون مع الله جل وعز ومن مواقع الشرك التسمية .

- ولذلك أراد المصنف هنا أن يبين بأن الشرك كما يكون في الحقيقة في التوجه لغير الله سبحانه وتعالى في أي نوع من أنواع الشرك يكون كذلك بالأقوال والتسمية، فلو سمي إنسان عبد العزى أو عبداللات فيثبت العبودية إلى هذه الأصنام والأوثان وغيرها ومن ذلك نسبة العبودية إلى الأشخاص، فهذا نوع من الشرك بالله سبحانه وتعالى، وهذا الشرك بالله جل وعلا إما أن يكون شركاً أكبر إذا اعتقد عبودية هذا الإنسان لذلك المعبود، فهذا شرك صريح في عبادة الله جل وعلا ومخرج من الملة ومحبط للأعمال.
- أما إذا كان في التسمية فقط دون أن يكون معتقداً في عبوديته له وإنما مجرد اسم، فهذا شرك في الطاعة بمعنى أنه شرك أصغر .

فلذلك كان أفضل الأسماء ما تشرف للعبودية لله كعبد الله وعبدالرحمن وعبدالعزيز وعبدالحق وعبدالقيوم ونحو ذلك، فهذه فيها عبودية لله عز وجل، وجاء في الحديث أن أفضل الأسماء عبدالله وعبدالرحمن، فلا تجوز العبودية إلا لله سبحانه وتعالى، ويتشرف هذا العبد بالعبودية لله جل علا الذي شرّف بها نبيه ﷺ في قولـه تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[84] . في أعظم مهمة شرفه الله تعالى بعبوديته جل وعلا، فإذا وصفت هذه العبودية في الاسم لغير الله فلا تجوز، وهذه ما عبر عنها بشرك الطاعة. ومن هنا اتفق أهل العلم على تحريم كل اسم معبد لغير الله حتى ولو كان عظيما كالنبي ﷺ أو بصفته أو من الملائكة كأن تقول عبدالنبي، أو عبدالرسول أو عبدجبريل فضلاً أن تكون هذه العبودية لأصنام فهذه لا تجوز .

الوقفة الثانية :

الفرق بين شرك العبودية وشرك الطاعة:

أهل العلم يفرقون بينهم:

---

[84] () سورة الإسراء (الآية:1) .

1- شرك العبودية: أن تعبد غير الله جل وعلا .
2- شرك الطاعة: بأن تعمل عملاً لغير لله جل وعلا .

ويمثلون في هذا (شرك الطاعة): أن يأمر شخصٌ آخرَ بمعصية الله عز وجل فينفذ هذا المأمور تلك المعصية، هذا لا يعني أنه عبد ذلك الشخص فأشرك شرك الطاعة، فإذا وقف عند هذا الحد لا يخرج من الملة وإنما يبقى معصية كبيرة وذنباً عظيماً يستحق صاحبه العقوبة .

الوقفة الثالثة:

ذكر أهل العلم أن العمل لا يمكن أن يقبل وأن يكون حسناً إلا إذا اجتمع فيه شرطان:

الأول: أن يكون المقصود به وجه الله سبحانه وتعالى.

الثاني: أن يكون على منهج رسول الله ﷺ . قال تعالى: ﴿**خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾ قال أهل العلم : أحسنه: أخلصه وأصوبه.

50- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ژ **[الأعراف: 180]**

ذَكَرَ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ "يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ" «يُشْرِكُونَ»

.

وعنـه: سَمَّوا اللاَّتَ مِنَ الإلهِ, والعُزَّى مِنَ العَزِيـز.

وَعَنِ الأَعْمَشِ: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا».

الوقفة الأولى :

شرح مفردات الباب :

(يلحدون): يشركون، أو يدخلون فيها ما ليس منها .

والإلحاد في أسماء الله: الميل بها عما يجب فيها .

وهذا الباب يمكن أن يسمى باب الأسماء والصفات، وأورده المصنف ليبين أن أسماء الله كلها بالغة في الحسن، ويجب إثبات كل اسم ورد في الكتاب أو السنة وكذا كل صفة لله سبحانه الذي أثبتها لنفسه أو أثبتها لـه نبيه ✕، فنثبتها من غير تحريف ولا تكييف و لا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل إثباتاً يليق به سبحانه لا يشابهه أحد من المخلوقين .

الوقفة الثانية :

الإلحاد في أسماء الله جل وعلا يكون في عدة أمور:

الأول: إنكارها. فمن أنكرها فقد ألحد والإنكار بها يؤدي إلى الكفر العياذ بالله.

الثاني: إنكار ما دلت عليه الأسماء من الصفات؛ لأن كل اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى يدل على صفة .

الثالث: أن يشبه الإنسان أسماء الله جل وعلا بأسماء المخلوقين وكذلك أن يشبه صفاته بصفات المخلوقين .

الوقفة الثالثة:

سبق معنا شيء من التفصيل فيما يتعلق بأسماء الله تعالى وصفاته في باب : من أنكر شيئاً من أسماء الله وصفاته فليرجع إليه.

51- بَابُ لا يُقَالُ: السَّلامُ عَلَى اللهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ✕ فِي الصَّلاةِ قُلْنَا: السَّلامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلامُ عَلَى فُلانٍ وَفُلاَنٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ✕ : «لا تَقُولُوا السَّلامُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ»[85].

---

[85] () **أخرجه البخاري (رقم 835) ومسلم (رقم 402).**

الوقفة الأولى :

شرح مفردات الباب:

السلام: لـه عدة معانٍ :

1- التحية كما يقال: سلَّم على فلان أي حَيَّاه بالسلام .

2- الدعاء بالسلامة من النقص والآفات كقولك: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

3- السلام اسم من أسماء الله ﴿**الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ**﴾ [86] .

(كنا مع النبي ✕ في الصلاة): يعني في صلاة الفريضة؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم إذا كانوا مع النبي ✕ في الصلاة فالغالب تكون صلاة فريضة .

(السلام على فلان وفلان): يعني جبريل وميكائيل .

---

[86] () **سورة الحشر (الآية:23) .**

الوقفة الثانية:

لما ذكر المصنف رحمه الله في الباب السابق أسماء الله الحسنى، فهنا قد يرد على الإنسان أنه قد يعتقد أنه يمكن أن يسلم على الله عز وجل، وظاهر اللفظ هنا أنه يدعو لله بالسلامة من النقص والعيب، فلذا جيء بهذا الباب .

الوقفة الثالثة:

النهي في هذا الحديث الذي ذكره المصنف نهي تحريم؛ لأن قول القائل: السلام على الله ظاهره الدعاء لله بالسلامة من النقص والعيب تعالى الله عن ذلك، فهو الموصوف بالكمال لا يلحقه نقص ولا عيب؛ فإنه سبحانه هو السلام لا يحتاج إلى سلام، فالعبد لا يدعو لـه بالسلامة، وإنما يذكر ربه سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، فإذا أراد أن يدعو الله باسم السلام فيقول كما جاء في الحديث (**اللهم أنت السلام ومنك السلام**)[87].

52- بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللهَ لا مُكْرِهَ لَهُ»[88]. ولِمُسْلِمٍ: «ولْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لايَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»[89].

---

[87] () رواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة باب: استحباب الذكر بعد الصلاة، برقم (135) .

[88] () أخرجه البخاري (رقم 6339) ومسلم (رقم 2679/9).

[89] () أخرجه مسلم (رقم 2679/8).

الوقفة الأولى :

شرح مفردات الباب:

(اللهم) معناه يا الله، ولكن لكثرة الاستعمال حذفت ياء النداء وعوض عنها بالميم.

(المغفرة): ستر الذنوب مع التجاوز عنه .

(ليعزم المسألة) أي لا يكون في دعائه تردد بل يعزم بدون تردد ولا تعليق.

(لا مكره له): أي لا أحد يكرهه على ما يريد فيمنعه منه أو مالا يريد فيلزمه بفعله.

الوقفة الثانية:

الدعاء من مقتضيات التوحيد وألا يدعو إلا الله، ومن أهم الدعاء الدعاء بالمغفرة؛ لأن المسلم قد يرتكب ذنوباً وأخطاء في حق ربه عز وجل وفي حق الآدميين من غيبة ونميمة وغير ذلك.

ومما يبين لنا أهمية الدعاء بالمغفرة أنه شرع في مواضع عدة، ومن أهمها في الصلاة والحج وفي كل عبادة من العبادات، بل شرع الدعاء بها مطلقاً، فالنبي ﷺ وهو الذي غفر لـه ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يستغفر الله في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة كما روى ذلك عنه ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما في أحاديث كثيرة [90] .

والواجب على المسلم عند الدعاء أن يعزم المسألة، ويلح ويكرر الدعاء، ولا يستعجل الإجابة، فالدعاء بحد ذاته عبادة، كما جاء في قولـه تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**

---

[90] () رواه أبو داود في كتاب: سجود القرآن، باب: في الاستغفار، برقم (1516)، ورواه الترمذي في كتاب: الدعوات باب: ما يقول: إقام من المجلس برقم (3434) .

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ[91]، فسمى الدعاء عبادة ، وجاء في الحديث **(الدعاء هو العبادة)**[92] .

والمسلم عليه أن يعظم الرغبة كما جاء في رواية مسلم **(وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء إلا أعطاه)**. وقال ﷺ: **(وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس)**[93] .

الوقفة الثالثة :

(لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت) .

والنهي في الحديث نهي تحريم وهو تعليق الدعاء عموماً بالمشيئة أو بما يدل على معناه كالإرادة ونحوها، **والمحظور في هذا من ثلاثة وجوه** :

1- أنه يشعر أن الله لـه مكره على الشيء وأن وراءه من يستطيع أن يمنعه فكأنه يقول: أنا لا أكرهك إن شئت فاغفر وإن شئت فلا تغفر .

2- أن قول: إن شئت؛ كأنه يرى أن هذا أمر عظيم على الله فقد لا يشاؤه لكونه عظيماً عنده .

3- يشعر أن الداعي مستغنٍ عن الله فكأنه يقول: إن شئت فافعل أو لا فأنا لا يهمني[94].

فالواجب على المسلم أن يجزم بالدعاء فيقول: اللهم اغفر لي اللهم ارحمني، ولا يعلّق الدعاء، هذا والله أعلم .

الوقفة الرابعة:

للأسف تجد كثيراً من الناس إذا أراد الدعاء لأحد قال: الله يوفقك إن شاء الله يدخلك الجنة إن شاء الله، وكما سبق معنا أن هذا منهي عنه، فعلى المسلم أن يعزم المسألة ولا يعلق ذلك بالمشيئة .

---

[91] سورة غافر (الآية: 60) .

[92] رواه أبو داود في كتاب: سجود القرآن، باب: الدعاء برقم (1479)، ورواه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: فضل الدعاء، برقم (3372)، وصححه الألباني في الترغيب، برقم (1627) .

[93] رواه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله، برقم (2790) .

[94] ينظر: القول المفيد (2/331) .

53- بَابُ لا يَقُلْ: عَبْدِي وأَمَتِي

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وضِىءْ رَبَّكَ، ولْيَقُلْ: سَيِّدِي ومَوْلاي، ولا يَقُلْ أحدكم: عَبْدِي وأَمَتِي، ولْيَقُلْ: فَتَايَ وفَتَاتِي، وغُلامِي»[95].

[95] () أخرجه البخاري (رقم 2552) ومسلم (2249).

الوقفة الأولى :

شرح مفردات الباب:

(أطعم ربك): **الرب في اللغة** بمعنى الصاحب، فتقول: هذا رب الناقة كما قال عبدالمطلب: وللبيت رب يحميه وأنا رب الإبل، ويطلق الرب على الأب كقولك رب البيت.

أما في الاصطلاح الشرعي فهي اسم من أسماء الله، والرب بمعني مربوب أي معبود.

(سيدي): السيادة في الأصل علو المنزلة لأنها من السؤدد والشرف والجاه، والسيد يطلق على معانٍ منها المالك والزوج والشريف المطاع .

(عبدي): الذكر من المماليك .

(أمتي): الأنثى من المماليك .

الوقفة الثانية:

ما حكم قول: سيدي ومولاي ؟

الجواب: أن في ذلك تفصيلاً وذلك بحسب قصد الشخص .

فإن أراد السيادة المطلقة والولاية المطلقة فهي لله عز وجل لا يجوز إطلاقها على غيره، ولهذا جاء النهي عنه في الحديث .

وإن أراد السيادة والولاية الجزئية فتجوز على بني آدم كما قال ✕ : (**أنا سيد ولد آدم**)[96] .

وقال تعالى: ﴿**وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ**﴾[97]، فالسيادة التي لا تجوز إذا كانت مشتبهة بالسيادة المطلقة .

الوقفة الثالثة :

ما حكم قول: أطعم ربك ونحوه ؟

إضافة الرب إلى غير الله تنقسم إلى أقسام :

1- أن تكون الإضافة إلى ضمير المخاطب مثل: أطعم ربك فيكره للنهي عنه وسبب النهي أنه يوهم معنى فاسداً بالنسبة لكلمة الرب لأنها من أسماء الله والرب سبحانه يُطعم ولا يُطعَم، وإن كان الرب هنا غير رب العالمين ولكن من باب الأدب في اللفظ .

2- أن تكون الإضافة إلى ضمير الغائب كقول النبي ✕ لما سئل عن ضالة الإبل قال: (دعها فإن معها حذاءها وسقاءها... حتى يجدها

---

[96] () **رواه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: تفضيل نبينا ✕ على جميع الخلائق، برقم (2278) .**

[97] () **سورة يوسف (الآية:25) .**

ربها)[98]، وهذا لا بأس به .

3- أن تكون الإضافة إلى ضمير المتكلم مثل قول العبد: هذا ربي فهذا منهي عنه .

4- أن تكون الإضافة إلى الاسم الظاهر مثل هذا رب الغلام فظاهر الحديث الجواز، وقد يمنع لو ظن السامع أن السيد رب حقيقي خالق ونحو ذلك [99] .

الوقفة الرابعة :

ما حكم قول عبدي وأمتي؟ .

الحكم في هذا ينقسم إلى قسمين :

1- أن يضيفه إلى غيره مثل أن يقول: عبد فلان أو أمة فلان، فهذا جائز قال ✕ : (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة)[100] .

2- أن يضيفه إلى نفسه، وله صورتان .

أ / أن يكون بصيغة الخبر مثل: أطعمت عبدي وكسوت أمتي، فإن قاله في غيبة العبد والأمة فلا بأس .

وإن قاله في حضرتهما فإن ترتب عليه مفسدة تتعلق بالعبد أو السيد منع وإلا فلا، وإن كان يقصد مذلة العبد فهذا ممنوع .

ب /أن يكون بصيغة النداء كأن يقول: يا عبدي يا أمتي، فهذا اختلف العلماء في النهي، وأقل أحواله الكراهة [101]

.

54- بَابٌ لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ

عَنِ ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕ : « ومنِ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ ومَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فأعِيذوُهُ، ومَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، ومَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تُرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[102]. رَوَاهُ أَبو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

---

[98] () رواه البخاري في كتاب: اللقطة، باب: ضالة الغنم، برقم (2296)، ورواه مسلم في كتاب: اللقطة، برقم (1722).

[99] () ينظر: القول المفيد (2/340) .

[100] () رواه البخاري في كتاب : الزكاة ، باب : ليس على المسلم في عبده ، برقم (1371).

[101] () ينظر: القول المفيد (2/342) .

[102] () أخرجه أبو داود برقم (1672) والنسائي (5/82 رقم 2565) وأحمد (2/68، 99) والحاكم (1/412) وابن حبان كما في الموارد (207) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (6021).

الوقفة الأولى :

شرح مفردات الباب:

(من سأل بالله فأعطوه): أي إذا قال: أسألك بالله أو بوجه الله فأعطوه ما سأل .

(من استعاذ بالله فأعيذوه): أي من استجار بالله فأجيروه .

(من دعاكم فأجيبوه): أي من دعاكم إلى طعام ونحوه فأجيبوه .

الوقفة الثانية:

قال المصنف -رحمه الله- : (باب لا يرد من سأل بالله)، وهذا الباب حدده المصنف بـ(لا) بمعنى أنه نهى الإنسان عن عدم الإجابة أو إجابة من سأل بالله عز وجل، وهذا النهي فيه تفصيل بحسب المقول؛ فإذا كان السائل سأل حقاً لـه كأجر مثلاً أو من مالٍ فيه حق لـه يعني يسأل شيئاً من المال لـه حق فيه، مثل شريك يسأل شريكه أو مساهم يسأل المساهم معه، وحقه واضح وثابت فهذا يجب أن يجاب سؤاله وخاصة إذا سأل بالله عز وجل .

أما إذا كان المسئول ليس فيه حق للسائل، فإن أجابه فهذا تكرم منه ويؤجر على ذلك، وإن لم يجبه فليس لـه حق في هذا الأمر .

وقد ورد في الحديث (**من سألكم بالله فأعطوه**)[103] ، بأن الأمر هنا في الظاهر للوجوب، ولكن يصرف هذا الوجوب إذا كان المسئول ليس عنده حق للسائل، أو كان يتضرر بالإجابة .

الوقفة الثالثة:

إن النبي ﷺ أمر أن يعطى من سأل بالله، وهذا من باب تعظيمه لله سبحانه وتعالى؛ لأن هذا السائل ما سأل بالله عز وجل إلا ليعظمه ... وبالتالي ليعظم حاجته، ولذلك جاء في القصة المشهورة قصة الأبرص والأعمى والأقرع أنه لما أعطاهم حاجتهم ثم تمثل الملك بصورة رجل واحد منهم فكان يقول لكل واحد منهم (أسألك بالذي أعطاك كذا وكذا[104] فهذا السؤال من حيث هو جائز، فإذا سأل الإنسان إنساناً آخر فيجب على الآخر أن يجيب ما لم يكن مانع من موانع الإجابة التي ذكرت في الوقفات السابقة .

الوقفة الرابعة:

قولـه ﷺ: (**ومن استعاذ بالله فأعيذوه**) .

والاستعاذة: هي الالتجاء والاعتصام بالله عز وجل، ولذلك أمر الإنسان أن يستعيذ بالله من شر الأشرار ومن الشيطان الرجيم، يستعيذ بالله دائماً وأبداً، ومن استعاذ بالله فأعيذوه.

مثل أن يقول إنسان لآخر: أعوذ بالله منك، فعليه أن يعيذه ويبتعد عنه، بحسب ما طلب بهذه الاستعاذة .

الوقفة الخامسة :

قال ﷺ : (**من دعاكم فأجيبوه**) يعني من دعاكم لوليمة فأجيبوه، وفي هذا فوائد:

الأولى: الدعاء للوليمة أنواع، أما أن تكون هذه الوليمة وليمة عرس فذكر أهل العلم أنه يجب إجابة دعاء الوليمة؛ وذلك لأن فيها جبراً للخاطر، وفيها تعاون على البر والتقوى، وزيادة في الأخوة والألفة، والمحبة وفيها مزيد من التضامن وغسل الأدران من القلوب، وفيها إزالة الحقد والحسد، وهي تمر مرات قليلة في العمر، فدعوة الوليمة مجابة إلا إذا كان في هذه الدعوة مانع مثل أن يكون هناك منكرات ولا يستطيع التغيير، والمنكرات كثيرة؛ مثل الإسراف الشديد والتباهي والتفاخر أو فيها مزامير منهي عنها،

---

[103] () رواه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: الرجل يستعيذ من الرجل، برقم (5109)، ورواه النسائي في كتاب: الزكاة، باب: من سأل بالله عز وجل برقم (2567)، وصححه الألباني في السلسلة، برقم (254) .

[104] () القصة بتمامها رواها البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (3277)، ورواها مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، برقم (2964) .

ولذلك قال ﷺ: (**شر الطعام طعام الوليمة، يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء**) [105].

أما إذا كانت الدعوة ليست لوليمة عرس فهذه مستحبة؛ إن شاء أجاب الطلب ولبى الدعوة وحصل على الأجر والثواب، وإن لم يجب فلا حرج في ذلك.

وينبغي للمسلم عند إجابة الدعوات أن يقدم ما كان واجباً إجابته مثل دعوة الوالد ودعوة القريب، وأن يتنبه إلى أن هذه الدعوة ليس فيها منكر، أما إن كان فيها منكر واستطاع الإنكار فيذهب وينكر ويحصل على الأجرين: أجر إجابة الدعوة وأجر إنكار المنكر.

الثانية: إذا دعي لهذه الدعوة عليه أن يستفيد من حضورها.

الثالثة: أن هذه الدعوة قد تكون من غير مسلم، فلا بأس بإجابته إذا كان في إجابته خير كأن يؤلف قلبه ويدعوه لهذا الدين، أو أن يدفع بها شراً أو ضرراً عن الإسلام والمسلمين.

الرابعة: أن لا ترد هذه الدعوة عن واجب أو حق، ولا تزيد في بغضاء، ولا تسبب ضرراً عليه، أو على أولاده أو على أهله وماله، فإذا تسببت بضرر فلا يجب هذه الدعوة.

الوقفة السادسة:

إن المكافأة على المعروف من الوفاء في هذا الدين، ومن نشر المعروف بين الناس، وفيه أن أجر صاحب المعروف يضاعف ويتشجع عندما يكافأ، وكذلك فيها سد منافذ الشيطان فلا يستطيع الشيطان أن يلج إلى قلب هذا الإنسان الذي صنع معروفاً فيتعالى على الآخرين ويصيبه الغرور، بينما أن الله تعالى هو الذي وفقه لعمل هذا المعروف، ولعمل هذا الخير فلأجل أن يكثر يكافأ بعمل المعروف الذي عمله.

وقد لا يستطيع هذا الإنسان الذي عمل لـه المعروف أن يكافئ فدلّه النبي ﷺ على السبيل فقال: (**فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعو لـه**)[106] والدعاء يملكه كل إنسان فيدعو لـه حسب ما يظن الداعي أنه كافأ صانع هذا المعروف.

وإنه لمن الجحود والنكارة وسوء العاقبة للإنسان وعدم التوفيق لـه أن

---

[105] () رواه البخاري في كتاب: النكاح، باب: من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله برقم (4882). ورواه مسلم في كتاب: النكاح، باب: الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة، برقم (1432).

[106] () رواه أبو داود فيك تاب: الزكاة، باب عطية من سأل بالله عز وجل، برقم (1672)، ورواه النسائي في كتاب الزكاة، باب: من سأل بالله عز وجل، برقم (2567)، وصححه الألباني في الترغيب برقم (852).

يجحد المعروف، وأن يرد بما هو أسوأ، وهذا يجري عند بعض الناس للأسف الشديد، وهو من قلة التوفيق لهذا الإنسان الذي صنع لـه المعروف .

ولا يعمل هذا العمل إلا شخص ضعيف النفس ضعيف الإيمان ضعيف الخلق لا يخشى الله سبحانه وتعالى ولا يتقيه فيما أعطاه الله سبحانه وتعالى وهيأ لـه .

لذلك أراد الإسلام من أبنائه أن يكونوا إيجابيين في مستوى الإيجابية الكاملة، وصاحب الخير الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى يجب أن يبادر ويعمل المعروف، وجعل على ذلك أجراً عظيماً، فكل معروف صدقة ولو كان قليلاً .

فالله سبحانه وتعالى أعطاه ولم يمنعه ومنع ذلك ابتلاءً للجميع ، كذلك الذي يطلب عملاً من الأعمال فيه مصلحة لـه من شخص آخر عليه أن يطلبها وأن يضمر في نفسه أنه سيكافئ هذا الشخص، والأيام كما يقولون دول .

وينبغي على صاحب المعروف أن لا ينتظر الرد والمكافأة، بل يضع المعروف في مكانه وسيلقاه يوماً ما إن في الدنيا وإن في الآخرة .

والله سبحانه وتعالى نبه إلى هذا الأمر تنبيهاً عظيماً في كتابه، وجعل هذا من الأعمال الصالحة الكبيرة، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً**﴾ [107] لا نريد منك أيها المعطي جزاء بعطيتنا لك، ولا نريد منك الشكر على هذا الأمر .

الوقفة السابعة :

من الظواهر التي تزعج المؤمن كثيراً ذاك الطلب من المخلوقين، ويزيد هذا الأسف إذا تعود اللسان على هذا الطلب، ويزيد أيضاً إذا علق بالله عز وجل، أسألك بالله ، بالله ، بالله، وتجد حاجته حاجة قليلة، ربما المسئول أكثر منه حاجة لكنه كان كاتماً لسؤاله وجعله بينه وبين الله، وهذا مما يؤثر في عقيدة المسلم .

والأمور بلا شك نسبية؛ صاحب المرتب القليل عندما ينظر إلى أعلى ينظر على أنه قليل، لكن عندما ينظر إلى ما هو أدنى يرى على أنه كثير، ولذا يجب أن يتنبه المسلم إلى مراعاة مثل هذا الأمر، فلا يتساهل في جانب من هذه الأمور، وعليه أن يتكل على الله سبحانه وتعالى وسيجد الخير العظيم .

ثم إن هذا المطلوب هو مكتوب لك عند الله سبحانه وتعالى، فلا تلح على المخلوق، فإذا كان طلبك حاصلاً ورزقك حاصلاً فإنه سينالك بإذن الله

---

[107] () **سورة الإنسان ، الآية (9).**

عز وجل .

*** *** ***

55- بَابُ لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلاَّ الجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕ : «لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلاَّ الجَنَّةُ»[108].
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الوقفة الأولى :

في هذا الباب إثبات صفة الوجه لله سبحانه وتعالى، وهذا تكرر في كتاب الله عز وجل في قولـه تعالى: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾، فالمذهب الحق في هذا الباب أننا نثبت أن لله سبحانه وتعالى وجهاً من غير أن نعطل المعنى، لا نقول: الوجه المراد به كذا أو كذا... ومن غير تشبيه بأوجه المخلوقين؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا شبيه لـه ولا يجوز تشبيهه بأحد من خلقه جل وعلا .

---

[108]() **أخرجه أبو داود (رقم 1617) والبيهقي في الكبرى (4/199) .**

فمن هذا الحديث الذي أورده المصنف نثبت الوجه لله سبحانه وتعالى كسائر الأسماء والصفات التي نثبتها لله عز وجل كما أثبتها لنفسه من غير تعطيل ولا تحريف ومن غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف؛ كما قال الإمام مالك رحمه الله لمن سأل عن المراد بالاستواء قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة.

والسؤال عن هذا الكيف بدعة لأنه لم يرد عن الله سبحانه وتعالى ولا عن رسوله ﷺ .

الوقفة الثانية:

إن السؤال بوجه الله سبحانه وتعالى يجب أن لا يكون إلا لأمر عظيم، ولذلك لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، ومن هنا يجب على المسلم أن يتنبه لمثل هذا الأمر العظيم بأنه لا يسأل بوجه الله إلا الأشياء العظيمة الكبيرة وهي: الجنة .

56- بَابُ ما جَاءَ فِي (اللَّوِّ)

وقَولِ اللهِ تَعالَى: ﴿هَٰهُنَا قُتِلْنَا مَّا شَيْءُ ٱلْأَمْرِ مِنَ لَنَا كَانَ لَوْ يَقُولُونَ﴾ **[آل عمران:154]**

وقَوْلِهِ: ﴿قُتِلُواْ مَا أَطَاعُونَا لَوْ وَقَعَدُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ قَالُواْ ٱلَّذِينَ﴾ الآية [آل عمران:168].

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِاللهِ ولا تَعْجِزَنَّ، وإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنَّنِي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وكَذَا؛ ولَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ ومَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[109].

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(من الأمر) : أي من التصرف ولو كانت الولاية بأيدينا .

(لإخوانهم) : أي إخوانهم في النسب لا في الدين.

(الحرص) : بذل الجهد لنيل ما ينفع من أمر الدنيا والدين .

---

[109] () **أخرجه مسلم برقم (2664).**

(الاستعانة): طلب العون بلسان المقال؛ كالدعاء اللهم أعني اللهم يسر لي ، أو بلسان الحال؛ كأن تشعر بقلبك أنك محتاج إلى ربك أن يعينك على أمر معين.

(ولا تعجز): المراد التكاسل وعدم الحزم والعزيمة، فلا تعجز باختيارك .

الوقفة الثانية:

مناسبة الباب لكتاب التوحيد:

أنه لما كان من معاني كلمة "لو" الاعتراض على القدر كان في ذلك قدح في التوحيد، فمن اعترض على القدر لم يرض بالله رباً ، ومن لم يرض بالله رباً لم يحقق توحيد الربوبية .

الوقفة الثالثة :

مع قولـه تعالى: ﴿**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا**﴾ [110] وقوله: ﴿**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**﴾ [111] الآية .

لقد نزلت هاتان الآيتان في قصة المنافقين يوم أحد .

فالآية الأولى: في الذين قالوا للنبي ✕ : لا تخرج من المدينة قاتلهم في داخلها، وأشار غيرهم بالخروج إلى مقاتلة المشركين خارج المدينة، ثم لما وقع ما وقع من القتلى قال المنافقون: لو كان لنا من الأمر شيء ، أي لو كان لنا شيء من التصرف أو الولاية لما قتل إخواننا.

رد الله على مقالتهم بقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**﴾ [112] أي إن هذا أمر مكتوب ومقدر فلا يجوز الاعتراض على قدر الله .

والآية الثانية: بينت مقالة المنافقين: لو أنهم لم يخرجوا ما قتلوا فرد الله عليهم بقوله : ﴿**قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [113] أي ادفعوا عن أنفسكم الموت فإنهم قتلوا بآجالهم وأنتم سيأتيكم أجلكم .

الوقفة الرابعة :

مع حديث الباب :

قال ✕ : (**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله**

---

[110] () **سورة آل عمران، الآية (154).**

[111] () **سورة آل عمران ، الآية (168).**

[112] () **سورة آل عمران، الآية (154).**

[113] () **سورة آل عمران ، الآية (168).**

وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) [114] .

احتوى الحديث على عدة فوائد هي :

1 - أن الإنسان في هذه الدنيا يحرص على ما ينفعه في دينه ودنياه بشرط أن يكون ما ينتفع به في دنياه متناسقاً مع الشرع وإلا فلا نفع فيه.

2 - التحذير من العجز لأنه منافٍ لما ينفع الإنسان .

3 - الحث على الاستعانة بالله؛ لأن الحرص قد لا يؤدي إلى نتيجة فهو سبب فلابد من التوكل والاستعانة بالله - عز وجل -؛ فإنه لا مدبر ولا رازق ولا شافي إلا الله، فلا حول ولا قوة إلا به .

4 - الموقف الصحيح عند حصول المصيبة:عدم الجزع ، واعلم أن ما أصابك إنما هو رفعة لدرجاتك وحط عن سيئاتك ، وأن المقادير قد كتبت قبل خلق الخليقة، فما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فلا تعترض على قدر الله بل قل : قدر الله وما شاء فعل.

5 - قولـه "فإن لو تفتح عمل الشيطان" لما فيها من الاعتراض على القدر، ولما تسببه من أضرار لقائلها وذلك من عدة وجوه.

1) أن اعتراضك على ما حصل اعتراض على قدر الله .

2) أنها من باب التحسر والندم وهو لا يفيد .

3) يعود هذا التحسر على نفسية المصاب بالاكتئاب والقلق والقنوط ويفتح باباً للشيطان.

4) يسد قائلها على نفسه أبواباً من الخير عظيمة .

الوقفة الخامسة :

استعمالات "لو" :

1 - تستعمل في الاعتراض على الشرع، وحكمه محرم؛ مثال قولـه تعالى: ﴿**لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**﴾ [115] .

2 - تستعمل في الاعتراض على القدر، وحكمه محرم؛ مثال قولـه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزّىً لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا**﴾

---

[114] () رواه مسلم في كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله برقم (4816)

[115] () سورة آل عمران ، آية (168).

(116) .

3 - تستعمل للندم والتحسر، وحكمه محرم؛ مثاله حديث الباب .

4 - تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية؛ كقول المشركين : ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا**﴾ (117) وحكمه باطل .

5 - تستعمل في التمني، وحكمه بحسب المتمني؛ إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر (118) .

6 - تستعمل في الخبر المحض، وهذا جائز مثال: قولـه ✕ : **(لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم)** (119) .

57- بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وخَيْرِ مَا فِيهَا، وخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وشَرِّ مَا فِيهَا، وشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»(120) صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

---

(116) سورة آل عمران ، آية (156).

(117) سورة الأنعام ، آية (148).

(118) ينظر: القول المفيد لابن عثيمين - رحمه الله - 2/362 .

(119) رواه البخاري في كتاب: اليقين، باب قول النبي ✕ (لو استقبلت من أمري) برقم (6689) .

(120) أخرجه الترمذي برقم (2252) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (7315).

الوقفة الأولى:

الريح هي الهواء الذي يصرفه الله سبحانه وتعالى من جهة إلى أخرى، فإذا كان شديداً سمي ريحاً، وإذا كان خفيفاً سميت رياحاً، وهذه على عكس الأصل والأصل إذا كان مفرداً أن يكون خفيفاً، والجمع يكون أشد، ولذلك جاء في الأثر أن الإنسان إذا رأى الريح دعا بالدعاء الوارد (**اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً**)[121] ، لأن الريح إذا جاءت هكذا شديدة فهي نوع من العذاب كما عذب بها بعض الأقوام السابقة++ وإذا جاءت خفيفة فهي قائدة للخير وللمطر، ولذلك يقول الإنسان هذا الدعاء الوارد .

الوقفة الثانية:

نهي المؤمن عن سب الريح كما أورد المصنف في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه الترمذي قال: (**لا تسبوا الريح**) وذلك لأن من سب الريح كأنه يسب من قدّر هذه الريح، وأتى بهذه الريح، وهو الله سبحانه وتعالى .

ولكن إذا رأى الإنسان ما يكره من الريح وكانت الريح شديدة وقد تسبب أضراراً فيدعو(**اللهم إني أسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به**) هذا دعاء والدعاء عند الله مستجاب إذا أتى بشروطه وخلا من موانعه .

(**ونعوذ بك من هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أرسلت به**) وهذا يدل على أن الأمور الكونية التي يقررها الله سبحانه وتعالى لها وجهان :

الأول: إما أن تكون فيها خير وهذا كثير، مثل الأمطار، فالأصل فيها أن تكون خيراً، لكن قد تنقلب إلى ضدها فبدل أن تكون رحمةً تكون عذاباً ، وهذه الأمور الكونية لها وجهان، والمسلم هنا عليه أن يسأل الله سبحانه وتعالى الوجه الخير فيها .

والنبي ✕ هنا حدد للمسلم أن يسأل من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به؛ لأنها مخلوقة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى فيها من الخير وفيها غير ذلك.

الوقفة الثالثة :

في هذا الحديث أن الإنسان لا يعترض على أقدار الله سبحانه وتعالى، إنما يطلب وجه الخير فيها مثل حادث أو مرض أو خسارة مالية ظاهر ذلك شر ولكن باطنه قد يكون خيرا لأن العواقب بيد الله سبحانه وتعالى، فيسأل العبد ربه أن تكون العاقبة خيراً، ولذا وجه النبي ✕ الإنسان لمن يرى

---

[121]() رواه أبو يعلي في مسنده عن ابن عباس مرفوعاً برقم (2456)، وضعفه الألباني في السلسلة برقم (4217) .

الريح ألا يشتم ويسب الريح، وإنما يسأل الله خير هذه الريح.

58- **بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:** ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ژ [آل عمران: 154]

وقَوْلِهِ: ژ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ ژ الآية [الفتح: 6].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ فِي الآيةِ الأُولَى: «فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا ينْصُرُ رَسُولَهُ، وأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وفُسِّرَ بأَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وحِكْمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ، وإِنْكَارِ القَدَرِ، وإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ ✕ ، وأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وهَذَا هُوَ ظنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ المُنَافِقُونَ والمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الفَتْحِ، وإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ؛ لأَنَّهُ ظَنٌّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، ومَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وحَمْدِهِ ووَعْدِهِ الصَّادِقِ.فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ

البَاطِلَ عَلَى الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وقَدَرِهِ أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الحَمْدُ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فذلك ظن الذين كفروا , فويل للذين كفروا من النار. وأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ وفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، ولا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ وأَسْمَاءَهُ وصِفَاتِهِ وَمُوْجِبَ حِكْمَتِهِ وحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ ولْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، ولَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتَاً عَلَى القَدَرِ ومَلاَمَةً لَهُ، وأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ ومُسْتَكْثِرٌ، وفَتِّشْ نَفْسَكَ: هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وإِلاَّ فَإِنِّي لا إِخَالُكَ نَاجِيــاً[122]

الوقفة الأولى :

شرح مفردات الباب:

(يظنون): الضمير يعود إلى المنافقين، والأصل في الظن: أنه الاحتمال الراجح، وقد يطلق على اليقين كما في قولـه تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ**﴾[123] .

(ظن الجاهلية): الجاهلية نسبة إلى الجهل، وإذا أطلقت يراد بها ما قبل الإسلام وهو المراد هنا .

(هل لنا من الأمر من شيء): يريدون أن ينزهوا أنفسهم ويرفعوا الملامة عنهم ويريدون أيضاً أن يعترضوا على قدر الله .

(قل إن الأمر كله لله): ليس لكم ولا لغيركم من الأمر شيء بل الأمر كله لله فإن كان كذلك، فلا وجه لاحتجاجكم على قضاء الله وقدره .

(ظن السَّوء): أي يتهمون الله في حكمه ويظنون بالرسول ✕ والمؤمنين أنهم لا يُنصرون.

(دائرة السَّوء): دائرة العذاب والذل لازمة لهم لا تتخطاهم .

(سيضمحل): سيذهب ويتلاشى حتى لا يبقى لـه أثره .

(يديل الباطل): يجعل لـه الدولة والغلبة .

---

[122] () انتهى كلام ابن القيم باختصار. انظر: زاد المعاد (3/229 - 235) .

[123] () سورة البقرة (الآية: 46) .

(تعنتاً على القدر): اعتراضاً عليه .
(إخالك ناجيا): أظنك ناجياً .

الوقفة الثانية:

هذا الباب يمكن أن تسميه (باب الظن بالله عز وجل)، فمن المعلوم أن الله سبحانه قدر الأمور كلها، ومن هذه المقادير ما ظاهره الخير ومنها ما ظاهره الشر، وتقدير الله سبحانه لحكمة بالغة لا يعلمها إلا هو سبحانه، فهل ما ظاهره خير هو دائماً خير؟ وهل ما ظاهره شر هو دائماً شر؟ وهل حال الإنسان دائماً على حال واحدة؟ لا شك أن الأحوال تختلف؛ فتمر على الإنسان حالات فرح وسرور، وحالات حزن وهمّ، وهنا يتميز موقف المؤمن الصادق، وهو أن يظن بالله خيراً في جميع الأحوال في الخير والشر، فهذه الحياة مبنية على الكبد والمشقة والإنسان فيها مبتلى، ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾[124] .

فأراد المصنف -رحمه الله- أن ينبه على وجوب حسن الظن بالله، وأنه من واجبات الإيمان، وأن سوء الظن بالله ينافي التوحيد .

الوقفة الثالثة :

خلاصة ما ذكره ابن القيم في تفسير ظن السوء ثلاثة أمور:

الأول: أن يظن أن الله يديل الباطل على الحق ويجعل لـه الغلبة الدائمة فيضمحل ويذهب معها الحق، فهذا ظن المشركين والمنافقين كما في سورة الفتح : ﴿**بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً**﴾[125] .

الثاني: أن ينكر أن يكون مجرى الأمور بقضاء الله وقدره، لأنه يتضمن أن في ملكه سبحانه ما لا يريد مع أن كل ما يكون في ملكه فهو ما أراده وقضاه وقدّره .

الثالث: أن ينكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد؛ لأن هذا تضمن أن تكون تقديراته سبحانه تعالى سدى وعبثاً وباطلاً : ﴿**ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[126]، تعالى الله عن ذلك، فكل ما قدره لحكمة بالغة.

الوقفة الرابعة:

يخطئ كثير من الناس في هذا الباب؛ فإذا سئل المريض عن حاله قال: حال سوء أو حال تعب، ويأتي بهذه التأففات المزعجة التي تنبئ عن اعتراض على قدر الله سبحانه، وقد يصرح بذلك فيقول: لماذا يصيبني ذلك

---

[124] () **سورة البلد (الآية: 4) .**
[125] () **سورة الفتح (الآية: 12) .**
[126] () **سورة ص (الآية: 27) .**

أنا لا أستحق، فهذا كأنه يشكو الله سبحانه وتعالى لخلقه تعالى الله سبحانه، أما إذا أخبرت عن نفسك إخباراً لا شكاية ولا اعتراضاً، فإذا سئلت عن حالك قل: الحمد لله، فإذا قيل هل فيك وجع؟ قلت: نعم؛ فأنت تخبر لا تعترض، والرسول الله ﷺ قيل لـه: إنك لتوعك قال: (**أجل إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم**)[127] . فأخبر ﷺ أنه يوعك وليس في هذا اعتراض لأنه عن باب الإخبار، أما إذا كأن على سبيل الشكاية كأن تقول للإنسان: يومي أسود أو مصيبتي شديدة أو لم آكل منذ كذا كأنك تشكو ربك إلى الناس فهذا أمر خطير، فأنت لا تعلم حكمة الخالق سبحانه ولعل فيه خيراً لك، فإما أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يمحو سيئاتك أو أن يرفع درجاتك، ولذلك يقول بعض العلماء: حمى ليلة تمحو جميع السيئات فإذا كان حمى ليلة تمحو جميع السيئات فكيف بالأمراض الشديدة المهلكة ؟!

فإذا ظن الإنسان بربه الظن الحسن كان لذلك آثارٌ عظيمة على حياته من الطمأنينة والاستقرار والراحة والسعادة . وعلى حياته الأخرى بالسعادة الأبدية.

59- بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ

---

[127] () رواه البخاري في كتاب: المرضي، باب: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، برقم (5324)، ورواه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ونحو ذلك، برقم (2571) .

وَقَالَ ابنُ عُمَرَ: والَّذِي نَفْسُ ابنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ. ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ✕: «الإِيْمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ»[128]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، ومَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ✕ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ، ومَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ✕ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا، فَلَيْسَ مِنِّي»[129].

وفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ»[130].

وفِي رِوَايَةٍ لابنِ وَهْبٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕ : «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ».

وفِي المُسْنَدِ والسُّنَنِ عَنِ ابنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: «لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، ومَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، ولَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»[131]. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ، وحُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ، وزَيْدَ بنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ✕ . حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ.

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(الإنكار): هو الجُحود بحيث يجحد أن تقدير الله سبحانه وتعالى لجميع الأمور .

(القدر): هو تقدير الله للكائنات وهو سر الله في خلقه لا يعلمه إلا الله.

(أُحُد): هو جبل أحد الواقع شمال المدينة النبوية .

الوقفة الثانية:

سبب ورود الباب في كتاب التوحيد ؛ لأن الإيمان بالقدر ركن من

---

[128]() أخرجه مسلم برقم (8) وأبو داود برقم (4695) والترمذي برقم (2613) والنسائي برقم (4987) وابن ماجه برقم (63).

[129]() أخرجه أبو داود برقم (4700).

[130]() أخرجه أحمد (5/317). وحسنه الألباني في ظلال الجنة (1/50).

[131]() أخرجه أحمد (5/182) وأبو داود برقم (4699) وابن ماجه برقم (77) وصححه الألباني في ظلال الجنة (1/52، 109).

أركان الإيمان الستة كما دل عليه حديث جبريل المشهور لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال ﷺ : (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**). وقد ذكر المصنف تحت عنوان هذا الباب ما استدل به على أن منكري القدر ينسلخون من الإيمان .

الوقفة الثالثة:

مراتب القدر:

1 - **العلم** : بأن يؤمن الإنسان أن الله عز وجل علم كل شيء جملة وتفصيلاً، فالله يعلم ما كان وما سيكون ويعلم كل دقيق وجليل.

الدليل قولـه تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [132] .

2 - **الكتابة**: فالله - عز وجل - كتب المقادير كما في الآية السابقة: ﴿**وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [133] .

وقال تعالى : ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [134] .

3 - المشيئة : وهي عامة، وما من شيء في السماوات ولا في الأرض إلا هو كائن بإرادة الله ومشيئته كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[135] وقال: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ**﴾ [136] وقال: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا**﴾[137].

4 - الخلق : فما من شيء إلا والله خلقه وأوجده قال تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [138] و"شيء" نكرة تفيد العموم، فما من صغيرة ولا كبيرة إلا والله خالقها سبحانه، وجمعت هذه المراتب في بيت :

علمٌ كتابةُ مولانا مشيئةُ وخَلْقُه وهو إيجادٌ وتكوينُ

الوقفة الرابعة:

في أثر ابن عمر دليل على أن من أنكر القدر فهو كافر حابط عمله، فإن ابن عمر رضي الله عنهما يقسم بمن يملك نفسه وهو الله - عز وجل - بأن من أنكر القدر لا يكون مؤمناً حتى لو أنفق مثل جبل أُحُد ذهباً، ثم

---

[132] () **سورة الأنعام ، الآية (59).**
[133] () **سورة الأنعام ، الآية (59).**
[134] () **سورة الحج ، الآية (70).**
[135] () **سورة يس ، الآية (82).**
[136] () **سورة الأنعام ، الآية (112).**
[137] () **سورة البقرة ، الآية (253).**
[138] () **سورة الزمر، الآية (62).**

استدل بحديث جبريل الطويل بقول النبي ﷺ : (**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**) .

ويشهد لما قاله ابن عمر رضي الله عنهما الأثر الوارد عن ابن الديلمي لما سأل أبي ابن كعب ﷺ أن القدر ركن من أركان الإيمان ولو مات على إنكار القدر لكان من أهل النار.

وقال عبدالله بن مسعود ﷺ وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت كلهم كما قال أبي ابن كعب.فهذه الأحاديث فيها الوعيد الشديد لمن ينكر القدر.

الوقفة الخامسة:

المتأمل في حديث عبادة بن الصامت ﷺ يعلم علماً يقيناً أن المقادير قدرها الله - عز وجل - قبل خلق السماوات والأرض، وذلك لأن الله أول ما خلق القلم، فسبق خلقه خلق السماوات والأرض ، فإذا علم المسلم ذلك وأن سيقع لـه من تقدير الله وسلم بذلك ورضي سيجد الراحة في نفسه والطمأنينة والسكينة في حياته، وسيجد طعم الإيمان الذي أخبر عنه عبادة ﷺ .

وفي المقابل سيجد من لم يؤمن بالقدر الوعيد الشديد وذلك بأن يعذبه الله بالنار ويذيقه العذاب الأليم الذي ينتظره فيها .

الوقفة السادسة :

يتساءل بعض الناس ويقول: هل يقدر الله الشر والرسول ﷺ يقول في دعائه (**والشر ليس إليك**) [139] ؟

الجواب: أن الشر الذي نفاه الرسول عن الله هو الشر المحض الذي لا خير فيه بوجه من الوجوه .

ولكن الشر الذي قدره الله يكون شراً في ظاهره ولكن في باطنه من الخير الذي نعلمه أو لا نعلمه، فإبليس هو شر فيما يظهر لنا، ولكن هناك خير وهذا الخير هو تمحيص الله المؤمنين عن الكافرين والمنافقين بوسوسته لهم فيظهر المؤمن الصادق عن غيره كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ [140] .

وكذلك المصائب التي يصيب الله تعالى بها من يشاء من عباده حتى يتميز المسلم الصابر الشاكر فيرتفع إيمانه وتُكفر عنه سيئاته، أو يكفر ويجزع فيضل ويخسر ، وقد جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال : (**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء**

---

[139]() رواه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، برقم (771).

[140]() سورة الحجر، الآية (42).

شكر فكان خيراً لـه، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً لـه) [141] .

الوقفة السابعة:

وقد يقول قائل: إذا كانت الأمور مقدرة على الإنسان فلماذا أعمل وأصلي وأذهب إلى وظيفتي فما قُدر لي سيأتيني عملت أو لم أعمل؟

الجواب: نقول: صحيح أن الله عز وجل قدر الأشياء كلها، ولكنه أعطى الإنسان قدرة بأن يتحرك ويعمل ويسر لـه الأسباب المعينة لذلك.

ولو ضربنا لهذا مثلاً وجيء بإنسان وضع له أطيب الطعام وفي الجانب الآخر وضع لـه جمر فماذا سيختار ؟ لا شك أنه سيختار أطيب الطعام فدل هذا على أن له اختياراً.

وكذلك أمر العبادات والأعمال الصالحة، فأنت باختيارك تقوم تصلي أو لا ، تذهب وتعمل أو لا . فدلّ ذلك على أن للعبد اختياراً.

ولقد سئُل النبي ✕ لما قال لصحابته: **(ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار)** قالوا: يا رسول الله: أفلا ندع العمل ونتكل؟ قال: **(اعملوا فكل ميسر لما خلق لـه)** [142] .

الوقفة الثامنة:

فإن قال قائل: كيف يمكن أن نفسر قول النبي ✕ : **(لا يرد القضاء إلا الدعاء)**[143] .

الجواب عن هذا من وجهين :

الوجه الأول: أن القدر المكتوب على الإنسان مما يعلمه الملك الموكل بذلك، فقد يكون مقدر على هذا الإنسان أمراً معيناً فيدعو الله فيُرد هذا الأمر بدعائه، فيعلم الملك الموكل بهذا الإنسان إنما رُد القدر الأول بسبب دعائه .

الوجه الآخر : أن هذا الأمر سبق في علم الله سبحانه أن هذا الإنسان ستصيبه مصيبة مثلاً، ثم يقدر الله عليه أنه سيدعو الله فيرد الله هذه المصيبة بدعاء هذا الإنسان .

وهذا حافز لكل مسلم أن يدعو الله ويكثر اللجوء إليه فإن الأمر كله لله.

---

[141]() رواه مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، باب: المؤمن أمره كله خير برقم (2999).

[142]() سبق تخريجه في الباب رقم (31).

[143]() رواه الترمذي في كتاب : القدر، باب : لا يرد القدر إلا الدعاء، برقم (2139) ، وحسنه الألباني في السلسلة ، برقم (154).

الوقفة التاسعة :

مقامات الناس في الإيمان بالقدر :

1 - الإيمان والجزم بالقدر بمراتبه الأربعة وهذا هو المؤمن الصادق .

2 - إنكار ذلك وهذا هو الكافر.

3 - الشك والتردد، وهذا يلحق النوع الثاني وهو الكفر، وهذا هو الظاهر من رواية ابن وهب : "فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار" [144] .

الوقفة العاشرة :

رواية ابن وهب وما بعدها كلها تفيد الوعيد الشديد لمن لم يؤمن بالقدر ولمن أنكر القدر، فيجب على الإنسان أن يؤمن بالقدر لئلا يقع في الوعيد الشديد ولذلك قال: **(أحرقه الله بالنار)**. وفي رواية : **(لم يقبل الله منه هذه الصدقات وهذا الإنفاق الذي ملء أحد ذهباً)**، ولذلك يجب على المسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره، وأن يعلم أن هذا من عند الله عز وجل.

وإذا تقرر هذا كما قرره النبي ✕ وصحابته الكرام .

نوجه نداء إلى جميع المسلمين فيما يتصل بالقدر، وهذا النداء يتضمن جزءاً مما قلناه قبل قليل، وهو أن على الإنسان أن يتعلق بالله جل وعلا، فإن أصابه خير ارتاح واطمأن وحمد الله جل وعلا على ما قضاه لـه من أمور الخير، وهنا يأتي الشكر فإن أصابه سراء شكر فكان خيراً لـه وإن أصابه شيء آخر مما ظاهره شر فموقفه أن يؤمن بالله سبحانه وتعالى بأنه قدر هذا الأمر، وما قدره إلا بأن تكون عاقبته خيراً إذا تعامل المسلم معه التعامل الشرعي المطلوب.

والتعامل الشرعي المطلوب تبدأ درجاته بالصبر على ما قضاه الله سبحانه وتعالى مما ظاهره شر، فالحياة مبنية على الكبد وخلق الإنسان كذلك كما ذكر ربنا سبحانه وتعالى، فإذا كان الأمر كذلك فلن تصفو لأحد، ولو كانت الدنيا تدوم للناس بالخير لدامت لرسول الله ✕، لكن أمر الدنيا متقلب بين أفراح وأتراح، فإذا أصيب الإنسان بما ظاهره شر من مرض ومن فقر ومن عدم النجاح في بعض الأمور وبعض المشاريع ومن الخسارة المالية فعلى المسلم أن يصبر على ما قدر عليه كما جاء عن النبي ✕ .

ثاني الدرجات: مع هذا الصبر أن يرضى بقضاء الله سبحانه وتعالى،

---

[144] () ينظر: القول المفيد (2/425).

وهذا جاء في دعاء النبي ﷺ : **(وأسألك الرضا بعد القضاء)** [145] . وهذه درجة أعلا .

والدرجة العليا التي يصل إليها الموفقون هي درجة الشكر تعني أن يجعل المسلم ما أصابه من المحن منحة من الله سبحانه وتعالى، وكيف يكون ذلك؟!

يعلم الإنسان أن أعماله قد لا ترقى به إلى الدرجات العليا لكن يقدر الله سبحانه وتعالى عليه من بعض الأمور التي ظاهرها شر ، فيحمد العبد ربه على ذلك فتنقلب المحن منحاً، ومن هذا يجب أن نربط علاقتنا بالله على أي وجه كانت الأمور، ولا يعني هذا أن يكون الإنسان سبهللاً لا يعنيه الأمر من خير أو شر ولكن المقصود أن يعلم أن هذه الأمور من الله سبحانه وتعالى فيتعامل معها التعامل الشرعي، رزقنا الله ذلك.

الوقفة الحادية عشر:

فوائد الإيمان بالقدر:

1 - أنه من تمام توحيد الربوبية .
2 - أن من علم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وسلم لهذا ذاق طعم الإيمان .
3 - أن الإيمان بالقدر يبعث الطمأنينة والأمان في قلب المؤمن .
4 - أن الإيمان بالقدر يقوي علاقته بالله عز وجل ويبعده عن التحسر والندم على ما فات.
5 - أن الإنسان يزداد من فعل الطاعات واجتناب المنكرات.
6 - الإقدام على العمل وعدم الكسل، إذ أن الإيمان بالقدر دافع للمزيد من العمل فلا يعجز ويتكل.

---

[145]() رواه أحمد برقم (20678)، والنسائي برقم (1288)، وذكره الألباني في صحيح النسائي (1304).

60- بَابُ مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕ : «قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»[146]. أَخْرَجَاهُ.

ولَـهُمَا عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابَاً يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ»[147].

ولَـهُمَا عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ✕ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[148].

ولَـهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعَاً: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، ولَيْسَ بِنَافِخٍ»[149].

ولِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ✕؟ أَلاَّ تَدَعَ صُورَةً إِلاَّ طَمَسْتَهَا، ولا قَبْراً مُشْرِفًا إِلاَّ سَوَّيْتَهُ[150].

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(ومن أظلم): أي لا أحد أظلم.

(يخلق كخلقي): لأن المصور لما صور الصور على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان أو بهيمة صار مضاهياً لخلق الله .

---

[146]() أخرجه البخاري برقم(5953) ومسلم برقم(2111).

[147]() أخرجه البخاري برقم(5954) ومسلم برقم(2107) (92).

في نسخ كتاب التوحيد: يضاهئون بالهمزة، بينما المثبت بلا همز كما في الصحيحين.

[148]() أخرجه البخاري برقم(2225) ومسلم برقم(2110) واللفظ له.

[149]() أخرجه البخاري برقم(5963) ومسلم برقم(2110).

[150]() أخرجه مسلم برقم(969) وأبو داود برقم(3218) والترمذي برقم(1049) والنسائي برقم(2029).

(فليخلقوا) : تعجيز لهم وتحدي.
(الذرة) : النملة الصغيرة.
(حبة) : حبة حنطة فيها طعم تؤكل وتزرع .
(يضاهئون بخلق الله): أي يشابهون بما يصنعون مخلوقات الله.
(مشرفاً) : أي عالياً.
(إلا سويته): أي جعلته مساوياً للأرض.

الوقفة الثانية:

قال المصنف - رحمه الله - **"باب ما جاء في المصورين"** ومقصوده ما جاء فيهم من الوعيد الشديد والتهديد الأكيد؛ لأنه نقل - رحمه الله - هذه النصوص والأحاديث التي تبين عقوبة المصورين.

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد : لما كان التصوير وسيلة من وسائل الشرك وأن المصور يضاهي خلق الله تعالى، وهذا بلا شك خلل في التوحيد ناسب أن يعقد هذا الباب ليبين تحريمه وما جاء فيه من الوعيد الشديد .

الوقفة الثالثة:

نستفيد من هذه الأحاديث تحريم التصوير لما فيه من مضاهاة لخلق الله سبحانه وتعالى، ولكن كلمة التصوير تحتاج إلى شيء من البيان، **فالتصوير المقصود فيه عدة أنواع**:

النوع الأول: ما يسمى بالتماثيل، وهي التماثيل المجسمة التي تكون كهيئة شخص أو حيوان وعملها.

النوع الثاني: الرسم باليد، فالذي يرسم شخصاً من الناس فهو مصور لـه .

النوع الثالث: آلات التصوير الحديثة، وهل هي من التصوير؟ سيأتي بيانه إن شاء الله، هذا من ناحية المقصود بالتصوير .

أما من ناحية حكمه فهو على أنواع:

النوع الأول: التصوير لما ليس لـه روح؛ مثل الأشجار والأنهار والبيوت والجبال وغير ذلك . فهذا فلا خلاف في جوازه سواء كان هذا بالتمثيل أو بالرسم أو على صورة الآلات الحديثة.

النوع الثاني: ما كان التصوير لما فيه روح مثل بني آدم والحيوانات وغير ذلك، وهذا فيه تفصيل.

أولاً: التماثيل كأن يجعل تمثالاً على صورة رجل أو حيوان أو غير ذلك، فهذا لا خلاف بين أهل العلم على تحريمه، وتنطبق عليه النصوص الواردة في هذا الباب .

ثانياً: الرسم باليد كأن يرسم صورة إنسان أو حيوان، فهذا محرم أيضاً وتنطبق عليه النصوص الواردة في هذا الباب . لأن المصور حاول مضاهاة خلق الله تعالى بيده.

ثالثاً: وهو التصوير بالآلات الحديثة؛ كالتصوير الفتوغرافي فهذا فيه خلاف بين العلماء المعاصرين : فمنهم من جعله صورة وطبق عليه النصوص الواردة فقال: إن حقيقة هذا الأمر هو الصورة ففيه الوعيد الشديد الذي جاء في التصوير، ولا يجوز إلا للضرورة.

ومنهم من قال: لا ينطبق معنى الصورة عليه وإنما هو انعكاس للحقيقة، فهذا التصوير الذي في الآلة إنما هو انعكاس لحقيقة الشخص، فلو أن إنساناً نظر إلى شخص في المرآة فهذا لا يقال: إنه نظر إلى صورة فلان وإنما يقال هذا فلان ، هذا مثل كاميرات التصوير الفوتوغرافية والفيديو وغيرها.

ومنهم من فرق بين ما هو متحرك وبين ما هو ثابت ، فما كان متحركاً لم يجعله صورة لأنه يقول : هذا الذي يتحرك هو فلان ليس صورته. أما غير المتحرك فيجعله صورة لأنه يقال هذه صورة فلان .

وبناءً على الخلاف في الحقيقة اختلفوا في الحكم :

فالذين قالوا : إنه صورة كما هي التسمية الشائعة قالوا: هي حرام وتنطبق عليها النصوص كما سبق .

أما من ذهب إلى أن حقيقته ليست بصورة إنما الحقيقة هو بذاته وقاس ذلك على من يرى شخصاً في المرآة قال: إن حقيقته انعكاس وليست صورة فليس بحرام.

الوقفة الرابعة:

بعد التفصيل في حكم التصوير بالكاميرات الفوتوغرافية والفيديو يبقى أن نقول: إن العلماء اتفقوا سواء من قال بالتحريم أو بعدمه على:

أولاً: أنه إذا كان هذا التصوير للتعظيم فلا خلاف بينهم أنه محرم ، والتحريم هنا جاء من التعظيم؛ كما في قصة قوم نوح الذين طال عليهم الأمر حتى عبدوها .

ثانياً: إذا كان هناك حاجة للتصوير مثل صور البطاقات والجوازات وما يعرف به شخصية الإنسان فهذا لا خلاف في جوازه للحاجة.

ثالثاً: إذا اتخذت الصورة للإهانة مثل صورة حيوان وضعت في سجادة على الأرض فهذه تنتقل من الحرمة للكراهة لأنها صورة مهانة، كما قلت في الصورة المعظمة إنها محرمة فالصورة المهانة تجوز .

الوقفة الخامسة:

يشكل على كثير من الناس (لعب الأطفال) وهل هي داخلة في التصوير المحرم أو لا؟ فنقول هي أنواع:

أولاً: ما كان على شكل صورة مثل ما يعمل بالقطن صورة رأس لكن ليس فيه عين ولا أنف ولا فم فهذه جائزة .

ثانياً : ما يتخذ تمثالاً وإن كان من لعب الأطفال فهذه محرمة لا لأنها صورة وإنما لمضاهاة ومشابهة خلق الله، فتجد الطفل يعظمها ويجعلها في أفضل الأماكن ويكرمها فهذه محرمة. ومثله ما يوضع في المحلات التجارية ونحوها.

61- بابُ ما جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ

وقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: " وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ " [المائدة:89].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ✕ يقولُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»[151] أَخْرَجَاهُ.

وعَنْ سَلْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ولا يُزَكِّيهِمْ ولَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، ورَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ، لا يَشْتَرِي إِلاَّ بِيَمِينِهِ، ولا يَبِيعُ إِلاَّ بِيَمِينِهِ»[152] رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕ : «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ: فَلا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا؟ **«ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمَاً يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ ولا يُوفُونَ، ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»**[153].

وفِيهِ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ✕ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثم الذين يلونهم، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ

---

[151]() أخرجه البخاري برقم(2087) ومسلم برقم(1606).

[152]() أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (6/246 رقم 6111) والصغير برقم(822). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (4/81): رواه الطبراني في الثلاثة ... ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم(3072).

[153]() أخرجه البخاري برقم(3650) ومسلم برقم(2535).

يَمِينَهُ، ويَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[154]. وقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ والعَهْدِ ونَحْنُ صِغَارٌ»[155].

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(الحلف) : بفتح الحاء وكسر اللام: اليمين والقسم وهو توكيد الشيء بذكر معظم بصيغة مخصوصة بأحد حروف القسم وهي: الباء والواو والتاء.

(منفقة للسلعة): ترويج السلعة والمتاع.

(ممحقة للبركة): من المحق وهو النقص والتلف ويشمل الحسي والمعنوي.

(لا يزكيهم): لا يطهرهم من دنس الذنوب ولا يثني عليهم.

(أشيمط زان) : تصغير أشمط وهو الذي في شعره شيب، وصُغّر هنا للتحقير لـه لأن دواعي الزنا ليست لديه .

(عائل مستكبر) : العائل : هو الفقير وهو مع ذلك يتكبر فمقومات الكبر ليست لديه.

(ولا يستشهدون) : أي لا يطلب منهم الشهادة .

(السِّمن) : كثرة الشحم واللحم وذلك لتنعمهم وغفلتهم عن الآخرة.

الوقفة الثانية:

أراد المصنف - رحمه الله - بهذا الباب ذكر ما جاء في الحلف من الوعيد الشديد. ومناسبة ذلك للتوحيد أن من كمال التوحيد احترام اسم الله وعدم امتهانه بكثرة الحلف؛ لأن ذلك يدل على الاستخفاف به وعدم تعظيمه . وأصل الحلف جائز إذا احتيج إليه لكن ينبغي عدم التمادي في ذلك وعدم الإكثار منه، لما فيه من الاستهانة بالمحلوف به وهو الله سبحانه وتعالى، ولذا قال تعالى : ﴿**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**﴾.

الوقفة الثالثة:

الحلف ثلاثة أنواع:

---

[154]() أخرجه البخاري برقم(2652) ومسلم برقم(2533).

[155]() أخرجه البخاري برقم(2652) ومسلم برقم(2533).ولفظه عند مسلم: كانوا ينهوننا ونحن غلمان عن العهد والشهادات.

النوع الأول: الحلف على أمر ماضٍ عامد وهو يعلم كذب نفسه ، فهذه هي التي تسمى اليمين الغموس، وسميتً غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم ومن ثم في النار، والعياذ بالله.

وهذه لا كفارة لها إلا التوبة، وهي التي جاء فيها قول النبي ﷺ : (**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**) وهذا للأسف عند الباعة كثير، وقد قال النبي ﷺ : (**من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**) [156] .

النوع الثاني: وهو الذي على الألسنة بغير قصد مثل من يقال لـه: كيف حالك فيقول: والله بخير، والأمثلة عليه كثيرة في حياتنا، فهذا هو الذي يسمى لغو يمين، فهذه ينبغي عدم التهاون فيها، وهي معفو عنها لكثرة وقوعها ورفع الحرج عن الأمة، قال تعالى ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾ [البقرة: 225] .

النوع الثالث: أن يحلف الإنسان على أمر مستقبل يعتقد فعله، ويتبين لـه خلاف ذلك مثل من يقول : والله لن أذهب غداً لفلان، فهذه اليمين التي إذا نقضها عليه الكفارة ، وإذا رأى غيرها خيراً منها عليه أن يأتي بالذي هو خير ويكفر عن يمينه؛ مثل من قال: والله لا أدخل بيت فلان لخصومة بينهما ثم تصالحا فيدخل البيت ويكفر عن يمينه، **والكفارة**: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة وهذا على سبيل التخيير، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام.

الوقفة الرابعة:

حفظ اليمين لـه ثلاثة معان:

1 - حفظها ابتداء، وذلك بعدم كثرة الحلف، ويصح أن كثرة الحلف تضعف الثقة بالشخص وتوجب الشك في أخباره.

2 - حفظها وسطاً ، وذلك بعدم الحنث فيها، إلا ما استثني كما سبق.

3 - حفظها انتهاء في إخراج الكفارة بعد الحنث .

4 - حفظها بأن لا يحلف بغير الله سبحانه وتعالى [157] .

---

[156] () رواه البخاري في كتاب: الخصومات ، باب : كلام الخصوم بعضهم في بعض، برقم (2235).

[157] () ينظر: القول المفيد (2/457).

62- بابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وذِمَّةِ نَبِيِّهِ ✕

وقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ژ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ژ [النحل:91].

وعَنْ بُرَيْدَةَ قال: كان رَسُولُ اللهِ ✕ إِذَا أَمَّرَ أَمِيراً عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهِ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ خَيْراً، فَقَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيداً، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ أو خِلالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ المُهَاجِرِينَ، وأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلمُهَاجِرِينَ، وعَلَيْهِمْ مَا عَلَى المُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُم يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ المُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تعالى، وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَالفَيْءِ شَيْءٌ؛ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ المُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لهم ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ. فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي، أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لاَ»[158] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(الغلول): هو أن يأخذ شيئاً من الغنيمة ولا يخبر بذلك.

(الغدر): الخيانة.

(ولا تمثلوا): التمثيل التشويه إما بقطع الأعضاء كالأنف وفقع العين

---

[158] () أخرجه مسلم برقم(1731).

ونحو ذلك.

(وليدا): الطفل الذي لم يبلغ.

(الغنيمة) : التي تغنم من الكفار.

(الفيء): هو ما يصرفه إلى بيت المال.

الوقفة الثانية:

الذمة: المقصود بها : العهد وسمي بذلك لأن الملتزم به يلتزم بهذا العهد كما يلتزم صاحب الدين بدينه الذي في ذمته. ولله جل وعلا عهد على الناس وهو عبادته سبحانه وتعالى كما جاء ذلك في آيات كثيرة، ويسمى بالذمة وبالعهد، ويسمى أيضاً تسميات أخرى. من ذلك ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**﴾ [159] .

ولذلك قال جل وعلا : ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**﴾ فالله سبحانه وتعالى لـه عهد على خلقه، أما العهد بين الناس فما يكون بين المتعاقدين في العهود، كما جرى في تاريخ النبي ✕ في صلح الحديبية مع المشركين ومع غيره .

وعلاقة هذا الباب بكتاب التوحيد: أن عدم الوفاء بعهد الله جل وعلا لا شك أنه تنقص لـه . وهذا مخِلّ بالتوحيد بحسب نوع العهد الذي أخل به هذا الإنسان.

الوقفة الثالثة:

في حديث بريدة قال: كان رسول الله ✕ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، وهذه الجملة من أعظم الجمل التي ينبغي لكل موظف ومسئول أن يتنبه لها، ليس في الحرب فقط أو لقادة الحرب والسرايا فقط وإنما لكل مؤتمن، وكل موظف مؤتمن.

قال : (**أوصاه بتقوى الله**): وهذه من أهم عناصر نجاح الموظف في وظيفته أن يتقي الله سبحانه وتعالى في عمله الذي وكله إليه، وفيمن تحت يده فيتقي الله فيهم. قال: (**ومن معه من المسلمين خيرا**) فمعنى ذلك أن عليه أن يعدل بينهم أنه لا يظلمهم وأن لا يتعدى عليهم ولا يحملهم مالا يطيقون، ولا يزيد عليهم في الأعمال وهي لم تطلب منهم، ولا يستغلهم لخدمة نفسه إلى غير ذلك.

قال: (**فقال: اغزوا باسم الله**): هذا فيه إشارة إلى أن الغزو أو الجهاد يكون لله، أما إذا كان لأمر دنيوي فهذا خرج عن المعنى المراد إلى معنى دنيوي، و(في سبيل الله) تأكيد على مسألة النية أن تكون لله عز وجل، ثم قال: (قاتلوا من كفر بالله) : فالقتال لله عز وجل وليس لحمية ولا لعصبية

---

[159] () **سورة البقرة، الآية (40).**

ولا لتفاضل في أمر دنيوي، إنما من كفر بالله..

يقول: (**اغزوا ولا تغلوا**) : الغلول: أن يأخذ شيئاً من الغنيمة ولا يخبر بذلك،

وهذا من كبائر الذنوب؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [160]

الوقفة الرابعة:

الخصال الواردة في حديث بريدة

(**وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيهم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام**) هنا انتقال من الوصايا العامة إلى التطبيق العملي.

الخصلة الأولى: إذا تقابل المسلمون مع المشركين فالدعوة تكون أولاً لأنها هي المقصود من الجهاد، وليس المقصود تعذيب أولئك القوم أو تيتيم أطفالهم أو ترمل نسائهم إنما المقصود هو الدعوة إلى هذا الدين، فإن استجابوا للدعوة إلى هذا الدين فهذا هو المطلوب وحصلت الغاية.

الخصلة الثانية: (فإن هم أبوا) : امتنعوا يعني إن أبو عن الإسلام فاطلب منهم الجزية.

والجزية : هي ما يكون مقابل الأمان وعدم الاعتداء عليهم والتعدي عليهم، فيدفعون هذا المال عوضاً عن حماية المسلمين لهم وإقامتهم في ديارهم. فإن هم بذلوا الجزية فلهم ذلك واقبل منهم وكُفَّ عنهم.

الخصلة الثالثة: إن امتنعوا عن الإسلام وعن دفع الجزية فاستعن بالله وقاتلهم لأنهم كانوا محاربين حينئذ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه؛ لأنه لا قدر الله لو حصل غدر لا يحصل بسبب عهد الله وعهد نبيه وإنما يكون العهد الشخصي الذي بين الناس. فكذلك إذا أرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله وإنما أنزلهم على ما تفهم أنت من حكم الله عز وجل؛ فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا.

هذا الكلام قبل أن ينقطع الوحي لكن لما انقطع الوحي فينزلون على حكم الله؛ لأن حكم الله استقر بعد انتهاء الوحي وبعد وفاة النبي ﷺ. فنفهم من هذا - وهذا الشاهد-: عظم أمر العهد والالتزام به وعدم نقضه .

---

[160] () **سورة آل عمران ، الآية (161).**

63- بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لِفُلاَنٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»[161] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»[162].

الوقفة الأولى:

القسم: هو اليمين، والإقسام على الله وهو أن يحلف الحالف على الله سبحانه وتعالى أن يفعل كذا، والمقصود هنا باب ما جاء في الإقسام على الله وجعله منهجاً لـه، فهذا ينبغي أن لا يفعله المسلم، أما حكم الإقسام على الله فالأصل فيه الجواز؛ لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم **(رب أشعث ....)** لكن الإكثار منه والتهاون فيه فهذا مما لا ينبغي، وقد يخل وينقص من تعظيم الله سبحانه وتعالى .

---

[161] () أخرجه مسلم (رقم 2621).

[162] () أخرجه أبو داود (رقم 4901).

الوقفة الثانية:

في حديث الباب أن رجلاً قال: **(والله لا يغفر الله لفلان فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألّى عليّ أن لا أغفر لفلان)** وهذا للأسف يحصل بين بعض الناس، يرى إنسان إنساناً آخر عليه بعض المعاصي وعليه بعض الأخطاء فيقول: والله لا يغفر الله لفلان، سبحان الله هل أنت علمت سريرته؟ وهل علمت أحواله؟ وهل علمت عظم علاقته بربه؟ وهل علمت عظم خشيته لربه؟ وهل علمت ماذا يقول في السر بينه وبين ربه؟ وهل علمت جميع أعماله؟ هذا تألٍّ على الله، والتألي على الله يدل على عدم حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، ولذا قال في الحديث القدسي : **(من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت لـه وأحبطت عملك)** . فالذي يتألى على الله يدل على أنه يعجب بعمله ولا يدري عن حال هذا الشخص الذي قد يكون لـه عمل جليل غفر الله لـه بسببه، وربما كان بينه وبين الله سر عظيم إذا خلا مع ربه عز وجل، ربما أنه أصيب ببعض الأمراض والأسقام والمصائب ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى فصبر واحتسب فحصلت لـه المغفرة، وربما أنه يتذلل لله سبحانه وتعالى ويعظم حدود الله، فيجب على المسلم أن لا يتألّى على الله عز وجل فيحبط عمله بسبب إعجابه بنفسه وتطاوله على الله جل وعلا.

الوقفة الثالثة:

قال أبو هريرة : **(تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته)** .

(أوبقت): أهلكت دنياه لأنه من خسر أعماله فقد حبط هذا العمل، ومن ثم خسر الدنيا وخسر الآخرة، فيجب على المسلم أن يعظم الله ويترك عباد الله عز وجل ولا يتألى على الله سبحانه وتعالى، ويعمق إخلاصه لله جل وعلا ، ويصحح أعماله ويكثر منها .

64- بَابُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ✕ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ✕ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وجَاعَ العِيالُ، وهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ وبِكَ عَلَى اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ✕ : «سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ!» فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ؛ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ✕ : «وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»[163] وذَكَرَ الحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

---

[163]() **أخرجه أبو داود برقم(4726) والطبراني في الكبير (2/128رقم 1547).**

الوقفة الأولى:

قول المؤلف: (**باب لا يستشفع بالله على خلقه**).

أي : لا يطلب من الله أن يكون شفيعاً إلى أحد، فلا يجعل الله هو الشافع عند أحد، ومن هنا فلا يستشفع بالله على خلقه؛ لماذا؟!

لأن في هذا إهانة لله سبحانه وتعالى وتنقصاً لـه بأن تجعل الله يشفع عند فلان المخلوق، وقد أورد المصنف هذا الحديث العظيم عن جبير بن مطعم ﷺ؛ جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هلكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال يعني من الجوع، والقحط الذي أصاب الناس في ذلك الوقت من قلة المطر (فاستسق لنا ربك) فعقب (فإنا نستشفع بالله عليك) فالنبي ﷺ يعلم عظم هذا الجرم فقال: (**سبحان الله سبحان الله**) فما زال يكررها، وهذا يفيد أن الإنسان إذا غضب من شيء فلا يرد بالغضب إنما بهذا التسبيح، وهذا هو السنة في ذلك، فيكرر سبحان الله سبحان الله حتى يهدأ؛ لأن الشيطان ينفر حينئذ ثم قال: (**ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك؛ إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه**) فهذا الحديث فيه بيان لعظم حق الله سبحانه وتعالى ولوجوب تعظيمه جلّ وعلا، بل يجب على المسلم أن يسأل الله سبحانه وتعالى مباشرة، وأما السؤال بالله فهذا أمر آخر يعني لو قال لإنسان : أسألك بالله فهذا من باب تعظيم الله سبحانه وتعالى وسؤاله، وقد سبق معنا: (**من سأل بالله فأعطوه**).

الوقفة الثانية:

هل يجوز لنا أن نستخدم (وبك على الله)؟ وهل ذلك خاص في حياة النبي ﷺ أم أنه يجوز أن نستخدمها حتى بعد وفاته؟!

بالنسبة لرسول الله ﷺ في حياته فهذا جائز، وأما بعد مماته فقد مات عليه الصلاة والسلام ولا يكون هذا إلا على سبيل طلب الدعاء، يعني أن تأتي لشخص وتقول: ادعُ الله لي اسأل الله لي، فكأنك ترى أن فلاناً لصلاحه ولتقواه ولعلمه ولعبادته بأنه قد يكون مجاب الدعوة مما يرى من ظاهر حاله، فيقول هذا الإنسان لهذا الشخص: اسأل الله لي كذا أو ادعُ الله لي كذا كما يقول الولد لوالده، فهذا لا بأس به، وقد ورد في دعاء عمر ﷺ : (لا تنسني يا أخيّ من دعائك) [164] وإن كان الحديث ليس بقوي وإنما يستأنس به، فطلب الدعاء لا بأس به.

---

[164] () رواه أبو داود في كتاب : سجود القرآن ، باب الدعاء، برقم (1498)، وضعفه الألباني في الجامع الصغير، برقم (14425).

65- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ ﷺ، قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً؛ فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[165] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ نَاسَاً قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! يَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي

---

[165]() أخرجه أبو داود برقم(4806) وأحمد (4/25) والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم(246).

الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[166]. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

[166]() أخرجه النسائي في سننه الكبرى برقم(10078) وأحمد (3/153 ، 241).

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(السيد): من السيادة وهي السؤدد، والسيد هو الذي يسود الناس، والسؤدد من العظمة والشرف والفخر، وهي صفة مدح وثناء بأن هذا يسود قومه أو صاحب سيادة في قومه، فهو صاحب عظمة وفخامة فيه.

(يستجرينكم): استجراه بمعنى: جذبه وجعله يجري معه، أي: لا يستعلينكم الشيطان ويجركم إلى أن تقولوا قولاً منكرا .

الوقفة الثانية:

أراد المصنف (أن يبين أن) النبي ✕ سد المنافذ الموصلة إلى هذا الشرك وإلى ما يناقض التوحيد حمايةً لهذا التوحيد العظيم وتخويفاً من الوقوع في الشرك.

فهؤلاء قالوا للنبي ✕: أنت سيدنا، ونلاحظ جواب النبي ✕ قال: (**السيد هو الله**).

لم يقل سيدكم وإنما قال السيد هو الله سبحانه وتعالى، نبه عليه الصلاة والسلام إلى أن هذا اللفظ دقيق ولا ينبغي استعماله إلا في مقامات معينة .

الوقفة الثانية:

لماذا قال النبي ✕ قولوا بقولكم أو بعض قولكم ؟ !

كل هذا من أجل ألا يتجاوز هذا الموصوف إلى حد أن يوصف بأوصاف الله سبحانه وتعالى ، ولذلك أراد النبي ✕ أن يضع لنا منهجا في أمرين:

الأول: المحافظة فيما يحسن القول فيه .

الثاني: ألا يبالغ بحيث يُعطي الموصوف أكثر من وصفه الذي يستحقه.

وكما أشير إلى أن السيادة ينبغي أن تعطي لمن يستحقها ولذلك لا ينبغي: استعمال هذا اللفظ لكل شخص وإنما لمن يستحقها .

الوقفة الثالثة:

مما يستنبط من هذا الباب وهذا الحديث تجنب الوسائل الموقعة في المحذور، وهذا يؤيد قاعدة (سد الذرائع) فإذا كان هناك وسيلة تؤدي إلى محاذير كالشرك بالله سبحانه فلا يجوز العمل بهذه الوسائل .

وهنا يسد النبي ✕ ما يتوصل إلى الغلو في الدين وإنزال الناس غير منازلهم، فيعترض على لفظ (السيد) خشية أن ينزل منزلة الله جل وعلا .

66- بابُ ما جاء في قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ [الزمر:67].

عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ژ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ژ الآية وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا اللهُ». وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِي: «يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ»[167] أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابنِ عُمَرَ مَرْفُوعاً: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبْعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟»[168]. وَرُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلاَّ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»[169].

وَقَالَ ابنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أخبرنا ابنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلاَّ كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ» قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلاَّ كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ»[170].

وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ، لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»[171]. أَخْرَجَهُ ابنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادٍ

---

[167] () أخرجه البخاري برقم(4811) ومسلم برقم(2786).

[168] () أخرجه مسلم برقم(2788).

[169] () أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (27/17).

[170] () أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (3/8) وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (1/223 - 226).

[171] () أخرجه الطبراني في الكبير برقم(8987) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/91): رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

بنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللهِ.

وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ الْمَسْعُودِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ. قَالَهُ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالِى، قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ[172].

وَعَنِ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرةُ خَمْسِمائَةِ سنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسُمائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَرْشِ بَحْرٌ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، واللهُ سبحانه وتعالى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ»[173]. أخرجه أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(ما قدروا): ما عظموا، والضمير عائد للكفار أي أنهم لم يعظموا حق الله سبحانه وتعالى.

(حبر): بفتح الحاء وسكون الباء، هو العالم كثير العلم.

(النواجذ): هي أقصى الأسنان، التي تظهر عند الضحك.

(كخردلة): الخردل من أنواع الشجر، وله حب صغير جداً.

(الكرسي): قال ابن عباس: هو موضع القدمين لله عز وجل بما يليق به سبحانه.

(العرش): هو المخلوق الذي استوى عليه الله سبحانه وتعالى استواء

---

[172]() ينظر:مختصر الصواعق المرسلة (2/373).

[173]() أخرجه أبو داود برقم(4723، 4725) والترمذي برقم(3217) وابن ماجه برقم(193) وأحمد (1/206 - 207).

يليق به سبحانه وتعالى.

(تُرس): ما يحمله المقاتل من قطعة حديد ونحوه لاتقاء ضرب السيوف والرماح.

(فلاة): الفلاة هي الصحراء الواسعة.

الوقفة الثانية:

في هذا الباب ذكر المصنف - رحمه الله – أدلة كثيرة على عدم تعظيم الكفار لحق الله تبارك وتعالى وهو العظيم سبحانه، والقادر على كل شيء، والملك والمتصرف في الأمور، أمره بين الكاف والنون، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فما قدروه حق قدره، وذلك أنهم أشركوا معه غيره، وعبدوا سواه، ولم يخلصوا العبادة له سبحانه، وكفروا بنعمة الله وجحدوها.

ولهذا ذكر المصنف الآية الأولى التي تبين هذا المعنى، فذكر سبحانه أن المشركين ما عبدوه حق عبادته والله سبحانه القادر الفعال لما يريد، ويوم القيامة يطوي السماء كما قال سبحانه في الآية الأخرى أيضاً: ژ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ [174].

ويقبض الأرض كما جاء في الحديث الصحيح أيضاً : **(يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض)**[175].

ومذهب أهل السنة والجماعة في مثل هذه النصوص إثباتها على ما جاء في صحيح السنة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وأن لها معاني حقيقة، وكل ذلك على حد قوله سبحانه : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ [176].

الوقفة الثالثة:

الأحاديث التي أوردها المصنف تدل دلالة واضحة على عظمة الباري سبحانه وتعالى وقدرته، وعظم مخلوقاته وعجائبها وأنه المتصرف بها كيف يشاء، وكذلك فيه ضعف عقول من ترك عبادته أو أشرك معه فكيف بهذا الخالق القادر سبحانه تُترك عبادته أو يتوجه إلى قبر أو ضريح ويدعى من دون الله، مع علم هؤلاء الناس أن المعبودين خلقٌ مثلهم، محتاجون لخالقهم تبارك وتعالى.

إن من تفكر بهذه الأحاديث وتعقل معانيها علم أنه لهذا الكون خالقاً

---

[174] () سورة الأنبياء، الآية (104).

[175] () رواه البخاري في كتاب :التوحيد ، باب: قوله تعالى (ملك الناس) برقم (6834).

[176] () سورة الشورى، الآية (11).

ومدبراً لـه، ومصرفاً لشؤونه، وأنه وحده المستحق للعبادة، فهذه السموات السبع إذا قارناها بالكرسي كانت السموات مثل الدرهم الذي يلقى في ترس، فتكون النسبة بينهما كبيرة.

وهذا الكرسي الذي يضع الرب سبحانه وتقدس قدميه عليه على كبره إذا قارناه بالعرش كان هذا الكرسي مثل الحلقة من حديد إذا ألقيت في صحراء كبيرة واسعة الأطراف.

وما بين السموات وبين الكرسي أمر لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

فوجب على العبد أن يلجأ إلى الله سبحانه ويعبده حق عبادته ويقدره حق قدره.

الوقفة الرابعة:

في أحاديث الباب إثبات عدد من الصفات لله عز وجل ومنها اليد:

كما قال أيضاً سبحانه وتعالى في الآية الأخرى عن اليهود: ژ ۆ ې ې
ۋ ۋ ۅ ئا ئا ئە ئەئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈژ (177) .

فأثبت له تبارك وتعالى لنفسه اليدين.

وقد جاءت بعض الألفاظ بوصف اليد باليمين والشمال كما في حديث ابن عمر الذي أورده المصنف، وكذا ما جاء في الصحيح أن النبي × قال: (**المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين**)(178) .

وقد يستشكل بعض الناس هذا الحديث مع سابقه، وجواباً على ذلك نقول:

إن البعض قد يتوهم من إطلاق الشمال على يد الله تبارك وتعالى أن فيه شيئاً من النقص أو الضعف كما يكون لبني آدم، فذكر ذلك النبي × لئلا يتوهم أحد من الناس هذا الضعف.

ومما جاء إثباته من الصفات لله عز وجل في هذه الأحاديث الأصابع، وهي أصابع لا يشبهها شيء من أصابع المخلوقين، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي × قال: (إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن)(179) .

وإثبات الصفات لله عز وجل أمر واجب على المسلم كما جاءت بها النصوص الشرعية من غير تعطيل لها، ولا تأويل لمعناها، ولا تكييف لصفتها، ولا تشبه بأحد من المخلوقين كما قال تبارك وتعالى: وَلَيْسَ

---

(177) سورة المائدة، الآية (64).

(178) رواه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، برقم: (3406).

(179) رواه مسلم في كتاب: القدر. باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، برقم: (4798).

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[180] .

ومما جاء إثباته أيضاً في هذه الأحاديث علو الله سبحانه وتعالى واستواؤه على العرش ، وقد جاءت آيات عديدة بهذا المعنى منها ما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾[181] وقوله: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [182] وقوله: ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾[183] .

ومن تأمل ما سبق من النصوص الشرعية وما فيها من إثبات لصفات لله عز وجل تبين له وضوح دلالتها.

فكيف يأتي بعض الناس ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون: إن المعنى لهذا النصوص غير مراد متأولين ومحرفين لهذه الشواهد العظيمة.

في حين أن السلف رضوان الله عليهم لم يقل أحدهم بأن معنى هذه الصفات غير مراد، أو أنه يلزم من ذلك التشبيه بل إن السلف أنكروا على من قال بأن معنى الصفات غير مراد وألف العلماء في ذلك الردود العديدة [184] .

*** *** ***

وبهذا انتهى التعليق على كتاب التوحيد، ونسأل الله سبانه وتعالى أن يجعلنا من الموحدين ، المخلصين، وأن يحيينا على ذلك ويميتنا على ذلك، ويبعثنا على ذلك، كما أسأله جل وعلا أن يثيب على ما ورد فيه من الشرح والبيان والتعليق، وأن يعفو عما زل به اللسان والقلم، وأن يجزي خيراً كل من أعان على إخراجه إنه سميع قريب مجيب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

[180] () **سورة الشورى، الآية (11).**
[181] () **سورة آل عمران، الآية (55).**
[182] () **سورة الرعد، الآية (2).**
[183] () **سورة المعارج، الآية (3).**
[184] () **ينظر: تيسير** العزيز الحميد، (641).

الفهرس

المقدمة 1
التمهيد وفيه : 3
- مفهوم الإيمان ، وأركانه 3
- التوحيد وأنواعه ومقتضياته 13
- ما ينافي الإيمان والتوحيد 15
- من فضائل التوحيد وثمراته 18
- الأسباب التي تنمي التوحيد وتقوي الإيمان 20
- موضوع كتاب التوحيد ومنهجه 22
التعريف بالمؤلف 25

أبواب كتـــاب التوحيد 28

كتاب التوحيد 29
1- بابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ 36
2 - بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابِ 40
3- بـــابُ الخَوفِ مِنَ الشِّرْكِ 44
4- بابُ الدُّعَاءِ إِلى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله 49
5 - بابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللهُ 55
6 - بابٌ مِنَ الشِّرْكِ لِبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ ونحوِهِمَا لرفعِ البلاءِ أو دفعِهِ 60
7 - بابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ 65
8 - بـــابٌ مَنْ تبرَّكَ بِشجرةٍ أَوْ حجر ونحوِهِمَا 71
9 -بابُ ما جاءَ في الذَّبحِ لِغَيْرِ اللهِ 75
10 -بابٌ لا يُذبحُ للهِ بِمكانٍ يُذبحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ 79
11 - بابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذرُ لِغيرِ اللهِ 83
12 - بابٌ مِنَ الشِّرْكِ الاستِعَاذةُ بِغَيْرِ اللهِ 87
13- بابٌ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بغيرِ اللهِ أَوْ يدعو غيرهُ 92
14 -بابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالى: " أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ **" الآية** 96
15 - بابُ قَوْلِ اللهِ تَعالى " حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ " الآية 100
16 -بَابُ الشَّفَاعَةِ 105
17 - بابُ قَوْلِ اللهِ تَعالى: " إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ " الآية 110
18- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهم هُوَ الْغُلُوُّ في الصَّالِحِينَ 114
19 - بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فكيف إِذَا عَبدَهُ ؟! 121
20 - بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ في قُبُورِ الصَّالِحِين يُصَيِّرُهَا أَوْثَاناً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ 129

21 - بَابُ مَا جَاءَ فِي حمايةِ الْمُصْطفَى ✕ جَنابَ التَّوْحِيد وَسَدِّهِ كُلَّ طريقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّركِ 134
22 - بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأوثَانَ 140
23 - بَابُ مَا جَاءَ فــي السِّحرِ 144
24- بابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ 152
25 - بَابُ مَا جَاءَ فِي الكُهَّانِ ونَحْوِهِمْ 157
26 - بَابُ ما جَاءَ فِي النُّشْرَةِ 161
27- بابُ ما جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ 166
28 - بَابُ ما جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ 177
29 - بابٌ ما جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ 181
30 - بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: " وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ " 186
31 - بـابُ قولِ اللهِ تَعالَى: " إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " 192
32 - بابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: " وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " 200
33 - بابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: " أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ " 207
34 - بابٌ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ 212
35 - بَـابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ 216
36 - بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا 222
37 - بابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ والأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابَاً 226
38 - بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ "الآيات 231
39 - بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ 236
40 - بَـــابُ قَوْلِ اللهِ تَعالَى: " يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا "الآية 241
41 - بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: " فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ " 246
42 - بَابُ ما جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللهِ 251
43- بابُ قَوْلِ: ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ 255
44- بَابٌ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ 261
45 -بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ ونَحْوِه 265
46 - بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ وتَغْيِيرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ 267
47 - بَابُ مَنْ هَزَلَ بشيءٍ فيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القرآنِ أَوِ الرَّسولِ 272
48- بَابُ مَا جَاءَ في قَوْلِ اللهِ تَعَالى: " وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي " 277
49 -بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: " فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ "الآية 284
50 - بَـــابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: " وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ " الآية 287
51- بَابُ لا يُقَالُ: السَّلامُ عَلَى اللهِ 289
52 - بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ 291
53 - بَابُ لا يَقُلْ: عَبْدِي وأَمَتِي 294
54 - بَابٌ لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ 297
55 - بَابُ لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلاَّ الجَنَّةُ 302
56 - بَابُ ما جَاءَ فِي (لَوْ) 304

57- بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ 308
58 - بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: " يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ " الآية 311
59 - بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ 315
60- بَابُ مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِينَ 322
61 - بابُ ما جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ 326
62 -بابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وذِمَّةِ نَبِيِّهِ ✕ 329
63 - بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ 333
64 - بَابُ لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ عَلَى خَلْقِهِ 335
65 - بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ✕ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ 338
66 - بابُ ما جاء في قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: " وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ " 341
الفهرس 347